وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: شعبة الفلسفة

مفـــهوم الفلســـــفة الحيـــوية

ميش*يل فوكو أنموذجا

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة

إعداد الطالبة:

✓ **طواهري مروة**

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
01	د. عمر برابح	أستاذ محاضر أ	رئيسا
02	أ.د. رياض طاهير	أستاذ تعليم عالي	مشرفا ومقررا
03	د. محمد الصديق بن غزالة	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 1445 ـ 1446هـ/2024ـ 2025م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: شعبة الفلسفة

مفـــهوم الفلســـــفة الحيـــوية

ميشيل فوكو أنموذجا

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة

إعداد الطالبة:

✓ **طواهري مروة**

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
01	د. عمر برابح	أستاذ محاضر أ	رئيسا
02	أ.د. رياض طاهير	أستاذ تعليم عالي	مشرفا ومقررا
03	د. محمد الصديق بن غزالة	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 1445 ـ 1446هـ/2024ـ 2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

أشكر الله تعالى على منه وفضله، ثم أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان والتقدير إلى الأستاذ الفاضل

*** * * طاهير رياض * * ***

على جهده المبذول في قراءة هذا البحث وتصحيحه وتصويب إلى ما هو أفضل، كما أوجه الشكر إلى كل أفراد قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية من إداريين وأساتذة وعمال وطلبة.

كما لا يفوتني أن اشكر كل معلمي الطور الابتدائي وأساتذة الطور المتوسط والطور الثانوي

وبفضلهم وصلت لما أنا عليه فلكم مني جزيل الشكر والتقدير.

في الأخير أوجه شكري لكل من مد يد العون إليا من بعيد أو من قريب ،وإلى كل من أعانني.

على إنجاز هذا البحث، فجزى الله الجميع عنا خير الجزاء.

إهـــــــــداء

أهدي عملي المتواضع إلى الوالدين الكريمين

اللذين كانا سببا في وصولي إلى ما أنا فيه وكانا المحفز القوي

في مشواري الدراسي، وإلى أخواتي باسمها

و إلى كل صديقاتي

إلى أستاذي المتواضع **"طاهير رياض "** وكل

وإلى من ساهم في مد يد العون في إنجاز بحثي هذا

ولو بالكلمة الطيبة.

مقدمة

لم يتطور مجال فلسفي في الآونة الأخيرة بالسرعة التي تطورت بها فلسفة العلم، ثمة عدد يتعاظم من المختصين في هذا المجال، كما أن كثيرا من الجامعات قد قامت بإضافة مواد تعنى بتلك الفلسفة إلى مناهجها الدراسية الدنيا والعليا . ويعنى فلاسفة العلم أساسا بثلاثة أنواع من المسائل، يتناول أحدها ما تفضي إليه الاكتشافات العلمية الجديدة من مترتبات بخصوص بعض القضايا الفلسفية التقليدية (مبدأ الحتمية)، أما النوع الثاني من تلك المسائل فيتعلق بتحليل المفاهيم الأساسية الخاصة بمختلف فروع العلم، مفاهيم كالعدد و المكان و الغاية و الكائن الحي، وخاصة هذا الأخير أصبح اهتمام معظم فلاسفة العصر، وأخيرا النوع الثالث من المسائل يتعامل مع طبيعة النشاط العلمي وأهدافه و المناهج التي ينتهجها العلم بغية تحقيق هذه الأهداف.

ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين تصدرت علوم الكائن الحي والأحياء – الطب و البيولوجيا –طليعة العلوم التجريبية، ولفتت إليها اهتماما واسعا وعريضا سواء من طرف مراكز البحث المتخصصة أو حتى الرأي العام، ويستمد ذلك الاهتمام مشروعيته من الآمال المعقودة والمنتظرة من الانعكاسات الايجابية المباشرة لنتائج تلك العلوم وأبحاثها على الصحة العمومية وصحة الأفراد على وجه الخصوص.

وأن شهرة وذيوع صيت العلوم الطبية والبيولوجية راجع إلى صلتها المباشرة علاجيا،وأخلاقيا بالفرد البشري. ورغم أن الطب العلمي تجاهل هذه الأبعاد الإنسانية السابقة، فإن ذلك لم يمنع الجميع: أطباء وباحثين من عقد آمال عريضة للطب العلمي.

والحقيقة أن الثورة البيولوجية التي أخذت بالتوسع لا تتوقف عند الاستنساخ بل تطرح قضايا فلسفية وأخلاقية من خلال إمكانيات و تطبيقات بيولوجية، كفكرة الموت الرحيم و نزع أجهزة الإنعاش الطبية ،وأطفال الأنابيب و التلقيح الاصطناعي و بنوك الأجنة وقانونية عملية الإجهاض و تأجير الأرحام ...الخ

ومن كل هذا تظهر ضرورة الدراسات النقدية المنصبة على هذا الموضوع من أجل أخلاق للبيولوجيا و هي ما اصطلح عليه بالفلسفة الحيوية أو فلسفة الحياة.

ومن خلال ارتباط الفكر السياسي والمعرفي في علاقة السلطة والحياة ومن خلال مفهوم فوكو للفلسفة الحيوية، لم يعد يُنظر إلى الإنسان على أنه صاحب قانون فقط، بل العكس تمامًا، إذ صارت نظرة أخرى للإنسان، على أنه كائن بيولوجي له مراتب وترتيبات خاضعة للمراقبة والتنظيم. هذه النظرة الجديدة هي التي أدت إلى ظهور ما يُعرف بالفلسفة الحيوية أو السياسة الحيوية، والتي قدمها ميشيل فوكو، وكانت بالنسبة إليه المفتاح الأساسي للفكر الفلسفي لفهم السلطة الحديثة. وبهذا أصبح مفهوم الفلسفة الحيوية سائدا في الحياة الفردية والجماعية.

لقد كانت بدايات الفلسفة الحيوية مرافقة لتغيرات فلسفية منذ بداية القرن التاسع عشر، لكنها أخذت مكانتها مع فلاسفة القرن العشرين، خاصة مع فوكو الذي يُعد رائد هذا المفهوم. إذ لا تقتصر الفلسفة الحيوية على الجانب المفاهيمي فقط، بل تمتد إلى إعادة التفكير في العلاقة بين الحياة والسلطة والمعرفة. فوكو، من موقعه هذا، عمل على هدم التصورات القديمة للمجتمعات التقليدية، وبناء معرفة جديدة تقوم عليها المجتمعات الحديثة، بل ذهب أبعد من ذلك، إذ ركز على تحليل السلطة السياسية في بعدها التاريخي.

وقد تميز هذا المفهوم على المستويين السياسي والمعرفي، وساهم في بروزه التغيير الجذري الذي عرفته السلطة منذ نهاية القرن الثامن عشر. كما مست التحولات الفلسفية الحديثة مجالات متعددة، أهمها السلطة والمعرفة، واللتان شكلتا محورًا أساسيًا لظهور ما أصبح يعرف بالفلسفة الحيوية أو السياسة الحيوية. لقد ظهر هذا المفهوم في سياقات تاريخية محددة، مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، حين لم تعد الدولة تهتم فقط بالتقيد بالنظام والانضباط، بل أولت اهتمامًا شديدًا بكل ما يتعلق بالحياة البيولوجية.

رأى فوكو أن هذه التحولات تمثل انتقالا من السلطة السيادية إلى السلطة الحيوية، والتي تعني بنظام الحياة. وقد استند في مفهومه للفلسفة الحيوية إلى أصولها من حيث النشأة والدلالة الفلسفية، وسلّط الضوء على هذا المفهوم من خلال صياغته له على أن "السلطة حياة، لا

موت". فالفلسفة الحيوية كانت بالنسبة إليه، مدخلًا لإعادة النظر في مفاهيم الأخلاق والسياسة والحياة والمعرفة. ومن المجالات التي عالجها فوكو نذكر المجال الصحي الذي تمحورت موضوعاته حول الجسد كموضوع ثابت والمجال السياسي الذي عالج فيه انتقال السلطة من سلطة رعوية إلى سلطة تُعنى بالحياة والمجال المعرفي الذي يتمثل في العلاقة التي تجمع بين المعرفة والسلطة.

الأخلاق عند فوكو تعني التحلي بالحرية والمسؤولية، أي أن يكون الإنسان كائنًا حرًا مسؤولا ضمن ما تحمله شروط الحياة والمعرفة والسلطة. وقد دفعنا فوكو، من خلال مفهوم الأخلاق، إلى إعادة التفكير في معنى أن "نعيش حياة أخلاقية"، بعيدًا عن الخضوع والتسلّط وتكاملت رؤيته للأخلاق عندما ربطها بالسلطة، بوصفها الشرط الضروري لكل ممارسة أخلاقية يقينية. وبهذا العمل يكون فوكو قد نقل تفكيره إلى مستوى أبعد، مُعيدًا تشكيل الفهم الفلسفي المعاصر للأخلاق.

ليست السلطة في فكر فوكو تقليدية تشتغل فقط من خلال القانون والعنف بل تشمل أيضًا السلطة الحيوية، التي نراها مفعلة في مؤسساتنا كالمدرسة والمستشفى والسجن). هذه المؤسسات تهدف إلى تنظيم حياة الإنسان وإدارتها من خلال الصحة السكن والتربية، مما يجعل السلطة ركنا أساسيا في الفكر السياسي، لا بالنسبة للفرد فحسب، بل داخل ذواتنا، متجلية في وسلوكياتنا اليومية أعمالنا وقد تزاحمت السياسة الحيوية مع بروز الليبرالية الحديثة، فبدلا من الأنظمة التقليدية التي تبني سلطتها على الحق في الموت، ظهرت دولة جديدة تسعى إلى تحسين الحياة وضبطها اهتم فوكو بالجانب السكاني، واعتبر الإنسان كائنًا بيولوجيًا يجب تنظيمه فانتقلت السلطة من التوجيه الفردي إلى تنظيم حياة الجماعة، وهو ما عكسته نظريته في السياسة الحيوية.

في كتابه "مولد السياسة الحيوية"، أكد فوكو أن الليبرالية ساهمت في تركيز الاهتمام على الإنسان ككائن يجب تدبير محيطه، وهكذا أصبح مفهوم السلطة والمعرفة والوجود الإنساني

متجليا في مجالات كالصحة، حيث أوضح أن المعرفة الصحية الحديثة لم تعد منفصلة عن السلطة، بل صارت ضمن شبكاتها.

لم يعد الطب مجرد أداة لعلاج الأمراض، بل وسيلة لتنظيم الأجساد، وتوجيهها عبر ما يعرف بالطب الاجتماعي، وطب الدولة، وطب قوة العمل. هذا ما يوضح العلاقة الوثيقة بين الطب والسلطة حيث تحوّل إلى أداة لضبط المجتمع، خاصة الفئات الضعيفة مثل الفقراء والعمال، وهو ما أدى إلى ولادة سياسة جديدة تهتم بالحياة، وتنظمها عبر آليات ديموغرافية وطبية ومن بين أشكال السلطة التي ظهرت نذكر السلطة الانضباطية، التي تسعى إلى مراقبة الجسد وترويضه. ومن خلال هذه الآليات نشأت علاقة تكامل بين السلطة الانضباطية والسياسة الحيوية قائمة على ضبط الفرد وتنظيم المجتمع.

أما من الجانب المعرفي، فقد صاغ فوكو العلاقة بين السلطة والمعرفة، مؤكدًا أن كل معرفة تنتج سلطة، وأن كل ممارسة معرفية هي في ذاتها ممارسة سلطوية. يتجلّى هذا بشكل واضح في الطب الحديث، الذي لم يتطور بشكل عفوي بل في ظل ترتيبات سلطوية، جعلت من العيادة فضاءً لإنتاج المعرفة.

وفي ختام هذا التحليل، تُعدّ الأخلاق من أكثر المفاهيم عمقًا في فكر فوكو، فقد سعى من خلالها إلى تفكيك التصورات التقليدية، وفتح المجال أمام تشكل الذات الحرة المسؤولة وقد ظهر مفهوم الأخلاق، كما طرحه فوكو، متجذرًا في الفلسفة اليونانية القديمة، حيث تُربط الصحة بالفضيلة، ما يعكس تداخله مع السلطة، كما يظهر في السياسة الحيوية. وهكذا، لا يمكن فصل الأخلاق عن السلطة، مما يجعل دراسة هذه العلاقة في فكر فوكو مدخلًا ضروريًا لإعادة التفكير في معنى الحياة والوجود، ضمن شروط جديدة دقيقة وواضحة.

ومن خلال هذا يمكننا صياغة الإشكالية الرئيسية التالية:

ما المقصود بالفلسفة الحيوية؟ وما هي أهم تجلياتها في فلسفة فوكو؟

وأمام هذه الإشكالية تندرج تحتها أسئلة فرعية وهي كالأتي:

- كيف صاغ ميشيل فوكو مفهوم الفلسفة الحيوية؟

- ما هي تجليات الفلسفة الحيوية في المجلات الصحية والسياسية والمعرفية؟
- ما هي الانتقادات التي واجهت فوكو حول الفلسفة الحيوية؟

وللإجابة عن تلك التساؤلات، انتهجنا في هذا البحث المنهج التحليلي النقدي، بحيث يهتم البحث بعرض الأفكار الأساسية في ما يخص موضوع الفلسفة الحيوية وعلاقتها بكل من المعرفة والأخلاق عند الفيلسوف ميشيل فوكو.

أما المحتوى المعرفي لهذا البحث، فقد تشكلت بنيته من ثلاثة فصول في محاولة للإجابة عن تلك الإشكالات المطروحة سابقا .

الفصل الأول : كان تحت عنوان في ماهية الفلسفة الحيوية و ينقسم إلى مبحثين : الأول نعرض فيه مفهوم الفلسفة الحيوية، أما المبحث الثاني فقد جاء فيه الفلسفة الحيوية عند ميشيل فوكو.

الفصل الثاني : موسوم تحت عنوان: مجالات الفلسفة الحيوية عند ميشيل فوكو و ينقسم إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول حاولنا أن نقف فيه على المجال الصحي(فلسفة الطب)، أما المبحث الثاني تناولنا المجال السياسي(السياسة الحيوية في مقابل السياسة التقليدية)،أما المبحث الثالث فقد أردنا من خلاله تحديد علاقة فلسفة الحياة بالمعرفة.

أما **الفصل الثالث** : فقد خصص للسلطة ،الأخلاق في نظر ميشيل فوكو وقد قسّم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث . المبحث الأول يعالج مسألة الأخلاق عند ميشيل فوكو، والمبحث الثاني يعالج أيضا الأخلاق عند ميشيل فوكو،أما المبحث الثالث: فقد يرصد نقد وتقييم الموضوع.

الخاتمة: تمثلت في محاولة الإجابة على الإشكالية الرئيسية، وتفرعاتها واستخلاص أهم النتائج المستنبطة من موضوع الدراسة وهذا بعد نقد وتقييم لها .

وعن أسباب اختيار موضوع البحث منها ما هو ذاتي، يتعلق بشغف بفلسفة العلوم عامة و علم الأحياء خاصة ،و بإرادة قوية في البحث في أخلاق العلم، وأكثر العلوم احتكاكا بماهية

الإنسان هي علم الأحياء ،والأسباب الموضوعية هي محاولة تقديم دراسة نقدية لعلاقة الفلسفة الحيوية بالمعرفة والأخلاق عند ميشيل فوكو، وهذا النقد بطبيعة الحال يحمل مشعله الفلاسفة .بالإضافة إلى قلة الدراسات العربية حول الموضوع، ما جعل المكتبات العربية شبه مفلسة بالمواضيع الجديدة الحية، وبالتالي نحاول إثراء مكتباتنا بما هو معاصر بدل المواضيع المستهلكة سابقا.

لم يكن اختياري لموضوع مفهوم الفلسفة الحيوية – ميشال فوكو نموذجا اعتباطيا بل كان نتيجة جملة من الدوافع العلمية والفكرية و فيما يختص بالمجال السياسي و بتحولات الفكر الفلسفي وتتمثل أهداف دراستي لهذا الموضوع فيما يلي:

- الكشف عن التحولات الجذرية من سلطة تقليدية قائمة على الإلزام و العنف إلى سلطة حيوية موجودة من خلال حياتنا اليومية.
- فهم كيفية أعمال السلطة في تجليات الفلسفة الحيوية.
- الكشف عن وجه جديد للسلطة.
- فتح المجال للنقاش حول معظم المجالات الفلسفية السياسية وحول القضايا المعاصرة الراهنة.
- إنتاج معرفة فلسفية جديدة من خلال التحليل والنقد.

ولا يتم أي بحث بدون مواجهة بعض الصعوبات منها ما يتعلق بصعوبة الرجوع إلى المصادر الأصلية، وصعوبة ترجمتها إذا توفرت، وقلة الدراسات حول الفيلسوف ميشيل فوكو باللغة العربية كونه مفكر معاصر، ورغم ذلك حاولنا التغلب على بعض الصعوبات، إيمانا منا أن أي بحث لابد له من جهد وصبر، حتى يؤتى أكله بإذن الله.

الفصل الأول

ماهية الفلسفة الحيوية عند ميشيل فوكو

المبحث الأول: مفهوم الفلسفة الحيوية

المبحث الثاني: الفلسفة الحيوية في نظر ميشيل فوكو

المبحث الأول: في مفهوم الفلسفة الحيوية

يشير مصطلح الفلسفة الحيوية أو الفكر الحيوي في عمومه إلى الفكر الذي يقابل الحياة، أو كل عمل أو فكرة أو نشاط له ما يقابله واقعيًا وذات دلالة حيوية، بمعنى أن الفلسفة الحيوية في عمومها مصطلح معاصر وراهني ظهر في الفترة المعاصرة بعد الثورة التكنولوجية الحاصلة في مختلف مبادين الحياة الإنسانية، ومن ثمة حاولت هذه الفلسفة في عمومها الخروج من مستنقع الفلسفة المجردة إلى جعل الفلسفة حيوية ومسايرة لحياة الّأفراد في مختلف المجالات السياسية منها والأخلاقية والاقتصادية، والكثير من المجالات الأخرى المختلفة.

ولهذا فالفلسفة الحيوية هي بمثابة ثورة في ميدان البحث الفلسفي في حد ذاته، فبعدما كانت الفلسفة رهينة البحث المجرد، أصبحت على يد الفلاسفة المعاصرة تحتمل جزءًا أو جانبًا عمليًا تطبيقيًا، مثلها مثل الأخلاق، فبعد أن كانت الأخلاق قديمًا محصورة في جنبها الكلاسيكي النظري، انتقلت في الحقبة المعاصرة إلى ما يمكن أن نسميه بالأخلاق العملية أو أخلاق العناية أو الوجود المغاير، فنفس الشيء بالنسبة للفلسفة، فبعدما كانت لسنين طويلة لا تخرج عن إطار التفكير المجرد، أصبحت في العصر المعاصر مواكبة ومسايرة للحياة البشرية في مختلف مجالاته، ولهذا فالفلسفة الحيوية اليوم هي بمثابة ثورة على التقليد السائد في ميدان البحث الفلسفي.

ويقابل مصطلح الفكر الحيوي أو الفلسفة الحيوية المصطلح: Bio والتي تعني في أوسع معانيها الحياة، وتتقاطع في مجالات مختلفة، أنتجت البيوتكنولوجيا أو البيوكيمياء أو البيوفيزياء، وامتدت بعد ذلك لتشمل ميادين أخرى جديدة لا تمتُ بصلة بميدان البيولوجيا، كالقول باليو سياسة، البيو أخلاق، بيو علم الاجتماع، بيو تاريخ....إلخ[1]. ولعل السياسة

[1] - إيمان خلاف، كمال حاج علي، **البيوسياسة والنزعة الإنسانية المتجاوزة، المتحولة**، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، المجلد: 14 العدد 01، ص 75.

الحيوية قد أخذت قسطا كبيرا في ميدان الأبحاث الفلسفية، نظراً لأهميتها في ميدان العلاقات السياسية المعاصرة اليوم.

ويشير مصطلح السياسة الحيوية إلى الطريقة التي تميل فيها السلطة إلى التحول ما بين نهاية القرن الثامن عشر 18م وبداية القرن التاسع عشر 19م، وذلك بهدف تدبير وتسيير ليس فقط الأفراد بواسطة عدد من الإجراءات الانضباطية، ولكن مجموع الأحياء الذين يكونون السكان، ولذلك فالفلسفة الحيوية عمومًا تهتم برسم السياسة المحلية: الصحة، النظافة الغذاء، ...إلخ، وذلك بتسيير بحكم أنها أصبحت رهانا سياسيا.

ويتضمن أيضا مفهوم السياسة الحيوية تحليلا تاريخيا للإطار العقلاني الذي ظهرت فيه أي مولد الليبرالية. ويجب أن نفهم من الليبرالية نوعا من ممارسة الحكم الذي لا يهدف فقط إلى رفع الحد الأعلى لآثاره وخفض تكاليفه على نموذج الإنتاج الصناعي، ولكنه يؤكد دائما على مخاطر الزيادة في الحكم. ففي الوقت الذي عمل فيه على تطوير سلطته من خلال تطوير وتنمية الدولة، فإن : « التفكير الليبرالي لا ينطلق من وجود الدولة، لأنه وجد في الحكومة الوسيلة لبلوغ هذه الغاية التي تكون له، ولكن من أجل المجتمع الذي يجد نفسه في علاقة معقدة خارجية وداخلية تجاه الدولة[1].

وهذا النمط الجديد من فن الحكم الذي لا يختزل لا في النموذج القانوني، ولا في القراءة الاقتصادية مترابطان ومتماثلان بالنتيجة، وكأنهما نوع من تكنولوجيا السلطة التي لها موضوع جديد وهو (السكان)، والسكان مجموعة من الأحياء المتعايشة والتي تمتلك ملامح بيولوجية ومرضية خاصة بحيث تكون الحياة نفسها قابلة لأن تكون مراقبة، وذلك بهدف ضمان أفضل تسيير لقوة العمل: اكتشاف السكان كان وفي الوقت نفسه، اكتشاف للفرد وللجسد الممروض،

[1] –جورديت ريفال، **معجم ميشيل فوكو**، تر: الزواوي بغورة، (مكتبة صوفيا، 2018)، ص 36.

ويمثل النواة الكبرى الأخرى لهذه التكنولوجية، وحولها عرفت الإجراءات السياسية في الغرب تحولات تاريخية.

لقد اكتشف في هذا الوقت بالذات ما يمكن أن نسميه بالسياسة الحيوية، وذلك في مقابل التشريح السياسي الذي بينته الآن».[1] وعليه فإنه في الوقت الذي يكون فيه الانضباط في شكل تشريح سياسي للأجساد، ينطبق على الأفراد، فإن السياسة الحيوية التي تمثل (الطب الاجتماعي) الكبير، تنطبق على السكان، وذلك بهدف تدبير الحياة. لقد أصبحت الحياة منذ الآن جزءا من الحقل السياسي.[2]

يطرح مفهوم السياسة الحيوية مشكلتين أساسيتين: الأولى منها متعلقة بالتناقض الذي نجده عند فوكو نفسه وفي نصوصه الأولى التي ظهر فيها المصطلح، ويبدو أنه يرتبط بما كان يسميه الألمان في القرن الثامن عشر بعلوم الشرطة، بمعنى الحفاظ على النظام والانضباط من خلال تطوير وتنمية الدولة ولكن لاحقا، فإن السياسة الحيوية يبدو أنها بالعكس تشير إلى لحظة التجاوز للتقليد والتراث الزوجي الدولة المجتمع، لصالح اقتصاد سياسي للحياة بشكل عام ومن هذه الصياغة الثانية تولدت المشكلة الأخرى وهي: هل يتعلق الأمر بالنظر إلى السياسة الحيوية على أنها مجموعة من السياسات الحيوية؟، و ذلك بحكم أننا تقول إن السلطة استثمرت الحياة أصبحت سلطة ويمكن معاينتها في الحياة نفسها، بمعنى في العمل وفي اللغة، وكذلك بالطبع في الجسد، وفي المؤثرات وفي الرغبات وفي الجنسانية، وفي المكان أو الوسط الذي تنبثق منه السلطات المضادة، المكان والفضاء الذي تنتج وتظهر فيه الذاتية التي تلوح وكأنها لحظة رفع الخنوع والخضوع في هذه الحالة.

[1] - جورديت ريفال، **معجم ميشيل فوكو**، المرجع السابق، ص 36.

[2] -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ولهذا سيكون موضوع السياسة الحيوية موضوعا أساسيا من أجل إعادة صياغة الأخلاق في علاقتها بالسياسة وهو ما يميز التحليلات الأخيرة لفوكو، وأكثر من ذلك، تمثل السياسة الحيوية وبشكل دقيق، لحظة الانتقال من السياسة إلى الأخلاق وكما بين ذلك فوكو في العام 1982 التحليل، الصياغة، إعادة طرح السؤال حول علاقات السلطة، والصراع بين علاقات السلطة ولزوم الحرية هي مهام سياسية دائمة ومستمرة وهذه هي السياسة المحايثة لكل وجود اجتماعي.[1]

يرى ليمك أنه لا يمكننا فهم مختلف أبعاد مفهوم السياسة الحيوية ما لم نهتم بما قدمه كل من وليام روبك (Wilhem Ropke) و الكسندر ريستوف (Alexander Rüstow)، باسم السياسة الحيوية، و هما من أهم ممثلي التيار الليبرالي الألماني المعروف بالليبرالية النظامية (ordo liberalisme) التي درسها فوكو في دروسه لعام 1977 باسم : مولد السياسية الحيوية.[2]

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ظهرت نظرية تدعو إلى القضاء على المعوقين بحكم التكلفة الاقتصادية والاجتماعية التي تطلبها رعايتهم، و تزعم القانوني "كارل بندينغ" (Karl Binding) و الطبيب "الفرد هوش"(Alfred Hoce هذه النظرية و لم يترددا في المطالبة بالسماح بالقضاء على الحياة التي لا تستحق الحياة)، وتجسدت هذه الدعوة بشكل من الأشكال في البرنامج النازي الذي كان يهدف إلى القضاء على الأشخاص المعاقين.

وبعد الحرب العالمية الثانية ارتبطت نظرية الرأسمال البشري((capital main باراء "غولد شايد" بشكل غير مباشر وظهرت عند مجموعة من الاقتصاديين منهم "ثيودور شولتر"

[1] - **ميشيل** فوكو، **دروس ميشيل فوكو**، تر: محمد ميلاد،(دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988) ، ص35.

[2] - ميشيل فوكو، **مولد السياسة الحيوية**، تر: الزواوي بغورة ،(منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، قطر)،2018، ص 124.

و"غاري بيكر"[1]. وتعززت هذه النظرية بنظرية اقتصادية جديدة، تقول بالاقتصاد الحيوي (bioeconomiques).

وفي عام 2006 قامت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) الأوربية بنشر مشروعها الممتد لغاية 2030، و الذي يقوم على فكرة الاقتصاد الحيوي، وحددته بأنه: «المجمل الاجتماعي لكل العمليات الاقتصادية التي تستعمل القيمة المناسبة للمنتجات والعمليات البيولوجية بهدف إيجاد أشكال جديدة من التنمية و الازدهار بالنسبة المواطنين والأمم".[2]

يمكن تعريف الحيوية عند برغسون من خلال طرحه للسؤال الأتي:ما هي الكائنات الواعية ؟وإلى أي مدى في الطبيعة يمتد الوعي؟ وهل كل الكائنات الحية هي واعية،أم أن الوعي لا يغطي إلا قسما من مجال الحياة .[3]

يجيب برغسون عن سؤاله هذا بالأتي "إذا الوعي يعني الاختيار فعلا،وإن دور الوعي هو اتخاذ القرار فمن المشكوك فيه أن نجد الوعي في أجسام تتحرك بصورة عفوية ليس لديها قرارات تتخذها...لا يوجد كائن حي عاجز تماما عن الحركة العفوية ولو ظاهرا.حتى في عالم النبات حيث الجسم منبت في التربة تكون القدرة على التحرك أقرب إلى أن تكون نائمة منها إلى أن تكون غائبة وتستيقظ هذه القدرة عندما تستطيع أن تكون مفيدة.[4]

يتضح مما سبق ذكره أن" برغسون "يحصر الوعي الذي وظيفته اتخاذ القرارات في الكائنات الحية فقط وهي النبات والحيوان و الإنسان دون أن يشمل ذلك الجماد ،علما أن هذا الوعي قد ينام عند عدم الضرورة ويستيقظ حينما يريد تحقيق فائدة.

يقول برغسون":واعتقد أن كل الكائنات الحية نباتات أو حيوانات تملك هذه القدرة حقا.يبدو لي إذا انه من المعقول أن ينام الوعي الذي هو حالٌ قائم لكل ما هو حي–حيث تنعدم الحركة

---

[1] - المصدر نفسه، ص112.

[2] - ميشيل فوكو، **مولد السياسة الحيوية**، المصدر السابق، ص114.

[3] - هنري برغسون ،**الطاقة الروحية**، تر، علي مقلد،(بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 1991)، ص9.

[4] – المرجع نفسه، ص 13.

العفوية،ويتأجج عندما ترتكز الحياة على النشاط الحر.[1] فالوعي عند" برغسون "ملازم لكل كائن حي،يقوى هذا الحي أو يضعف حسب الضرورة .كما ميّز" برغسون" ما مختلفان جذريا بل يتعارضان وإن تعايشا معا.فالمادة تمثل الضرورة والوعي يمثل الحرية.هو يقول :الوعي والمادة يبدوان إذا في الوجود مختلفين بصورة جذرية،بل هما متعارضان،وإن تعايشا وترافقا رفقة مقبولة نوعا ما.إن المادة هي ضرورة والوعي هو حرية.[2]

ولهذه الحيوية عند" برغسون "خصائص أهمها:

- حيوية غائية هادفة تتطور نحو الأفضل ، فالدافع الداخلي هو حقيقة واقعية.

يشير" رائق علي النقري "أن الحيوية عنده لا تعني حيوية" برغسون"بالمعنى البيولوجي بل تعني عنده الدينامية والحركة المتجددة التي تؤثر وتتأثر بشروط تكوينها.حيث يقول":الحيوية لا تعني" بيولوجيا"كما هي الحال بالنسبة إلى مدلول كلمة الحيوية في اللغات الأخرى وإنما تعني الدينامية: أي الحركة المتجددة التي تؤثر وتتأثر بشروط تكوينها بدون أن تكون شروط تكوينها متميزة جوهريا عنها وذلك لأنه ومجالها الحيوي عبارة عن علاقات وأشكال حركية.[3] كما يعرفها بقوله كذلك":والحيوية لدينا تعبر عن صيغ النحوي الكوني والاجتماعي والفردي والمعرفي والسياسي...والفئوي والعقائدي والاقتصادي والبيئي...الخ[4].

فالحيوية بهذا المفهوم –عند رائق –هي نظرية ديناميكية إبداعية متجددة بأشكال مختلفة تخضع إلى شروط الكينونة ولا فرق في ذلك بين الكينونة المادية أو الكينونة الروحية.ومن هنا نلاحظ أن الفرق والاختلاف جذري بين حيوية" رائق"وحيوية" برغسون فإذا كانت حيوية "برغسون"تعني الحياة عضويا وفيزيولوجيا فقط فإن الحيوية بالمعنى " النقري"تشمل حيوية "برغسون ."فحيوية" النقري"تحتوي كل كينونة سواء أكانت مادية أو روحية.

---

[1] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] - المرجع نفسه، ص 15.

[3] - رائق علي النقري،**القانون الحيوي للكون** ،(سوريا: مطبعة العلم، ط1، 1975)، ص227.

[4] - رائق علي النقري ،**فقه المصالح**،(مصر: دار الأمين ، ط1، 1991)، ص52.

وتعتبر السياسة الحيوية بمثابة الشكل الثالث من السلطة الذي لا يتميز بطابعه القانوني، ولا بآلياته الانضباطية، وإنما بجاهزيته الأمنية وبالتالي، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هي الملامح العامة لهذه الجاهزية الأمنية؟ يعدد ميشيل فوكو أربعة ملامح هي : فضاءات الأمن، والفجائي أو الصدفوي وأشكال التطبيع، وعلاقة الأمن بالسكان. وتعتبر مشكلة السكان بمثابة فكرة وحقيقة وواقع جديد بالنسبة للعمل السياسي، وللنظرية السياسية، وذلك منذ القرن الثامن عشر. وإذا كانت السيادة تمارس على إقليم معين فإن الأمن يمارس على مجموع السكان. وتعتبر المدينة فضاء نموذجياً لهذا الإجراء الأمني، وذلك منذ نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، حيث أصبحت تتميز بخصوصية إدارية وتشريعية تميزها عن بقية فضاءات الإقليم. كما تتميز بانغلاقها داخل فضاء محدد ودقيق قدر الإمكان، بحيث تظهر فيه الوظيفة العسكرية كإحدى الوظائف الأساسية، وإن لم تكن الوظيفة الوحيدة. كما تتميز أخيراً بتجانس اقتصادي واجتماعي مقارنة بالقرية.[1]

إن هذه المميزات التي طبعت السياسة الحيوية في تلك الفترة، أثارت مجموعة من المشاكل المرتبطة بالتطور الإداري للمدن وبخصوصيتها وبنمو التجارة مقارنة بانغلاق المدن وانفتاحها وبتطور التقنيات العسكرية الخاصة بالأمن والسيطرة على السكان وسكان المدن بوجه خاص، وضرورة التبادل التجاري بين المدن والأرياف وما يطرحه من مشكلات متعلقة بالتسيير والمراقبة. كل ذلك أدى إلى طرح مسألة اصطلح عليها في القرن الثامن عشر بضرورة وضع المدن في فضاء حركي، وهناك دراسات مهمة بينت هذا الجانب من المدينة في القرن الثامن عشر. ويرتبط تطور المدينة مع مشكلاتها المختلفة بتطور اقتصادي عُرف في تلك الفترة بالمذهب التجاري أو النزعة التجارية mercantilisme والنزعة المالية caméralisme.[2]

كما سيؤدي موضوع الأمن إلى سلسلة من الإجراءات المكانية والزمانية المتعلقة بالوسط أو المحيط milieu ومما لا شك فيه أن هذا المفهوم من المفاهيم البيولوجية الأساسية التي ظهرت مع لامارك ، رغم أنه كان مستعملاً في مجال الفيزياء بمعنى الحيّز، واستعمل من قبل

[1] - الزواوي بغورة، **مدخل إلى فلسفة ميشال فوكو**، (بيروت: دار الطليعة،ط1، 2013)،ص 145.

[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إسحاق نيوتن، وكان يقصد به معرفة حركة الجسم مقارنة بجسم آخر. ولقد استعمل المهندسون هذا المفهوم في تصميمهم للفضاءات المدينية أو الحضرية. كما أن الجاهزيات الأمنية قد بنت ونظمت وعدلت المحيط الحضري حتى يضمن هذه الحركة. فلم يعد المحيط يقتصر على المحيط الطبيعي، أي الأنهار الأودية الجبال المرتفعات الخلجان البرك.... الخ، وإنما أصبح يشمل المحيط الاصطناعي للمدن كالتجمعات السكانية الحضرية والريفية الصغيرة منها والكبيرة.[1]

إن المعنى الجديد للمحيط الوسط، أي الانتقال من الطبيعي إلى الاصطناعي قد أدى إلى ظهور المسألة الطبيعية la naturalité للنوع الإنساني داخل محيط اصطناعي أو بتعبير آخر بروز طبيعة النوع الإنساني داخل المحيط الاصطناعي السياسي وضمن علاقات السلطة التي تسوده، وهو ما يُعتبر مسألة أساسية وشكل أهم وأكبر معلم للسياسة الحيوية أو السلطة الحيوية. ويدلل ميشيل فوكو على هذه الفكرة بالأبحاث التي أُنجزت حول مشكلات السكان ومنها أبحاث موهو Moheau ، الذي يري أن على الحكومة أن تحسن من درجة الحرارة والمناخ، وذلك بتشجير الجبال بدلاً من حرقها بغرض استخدامها للزراعة.[2]

لا شك في أن الاهتمام بالسكان ليس أمراً جديداً في الفكر السياسي، ولا في تقنيات وإجراءات الحكم، فالنصوص السياسية القديمة تؤكد حضور هذه المسائل المتعلقة بالسكان. ويتمثل هذا الحضور في نظر ميشيل فوكو، بصورة سلبية عقب وقوع بعض الكوارث المأساوية كالأوبئة والحروب حيث تموت أعداد كبيرة من الناس وبوتيرة سريعة. يثبت هذا علم السكان الذي بدأ بوضع ما يُعرف بلوائح الموت وحساباتها، وبخاصة في إنجلترا التي سمحت بحساب وتعداد الأسباب التي أدت إلى الموت، وكانت أول بلد استعمل مثل هذه اللوائح منذ القرن السادس عشر. هذا يعني موضوع السكان لم يُنظر إليه إلا في جانب من جوانبه ولم يُؤخذ بكليته. كما استعمل مفهوم السكان من قبل المؤرخين والرحالة بوصفه أحد عناصر القوة لدولة

[1] - الزواوي بغورة، **مدخل إلى فلسفة ميشال فوكو**، مرجع سابق، ص146.

[2] - المرجع نفسه، ص147.

من الدول أو لمملكة من المملكات وبينوا أنه كلما كان عدد السكان كبيراً كلما كان إعداد جيش كبير ممكناً ؛ وكلما كانت المدن مكتظة كلما كانت الأسواق مزدهرة. لكن هذه القوة السكانية لا يمكن أن تكون كذلك إلا بشرطين وهما أن تكون قوة مطيعة، وأن تكون قوة قادرة على العمل والنشاط الدائم.[1]

أصبح السكان يمثلون ثروة قومية وقوة سياسية، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كانوا مؤطرين ضمن جهاز منظم يمنع الهجرة، ويستقبل المهاجرين وينمّي الولادات وهذا ما يتطلب وجود جهاز يحدد المواد والسلع النافعة والقابلة للتصدير والمواد التي يجب إنتاجها، ووسائل الإنتاج الملاءمة، كما يضع سياسة للأجور تمنع الفقر والفاقة ويفرض وجود دولة تجعل من السكان العنصر الأساسي في سياستها. وهذا ما دافعت عنه النظرية التجارية في الاقتصاد والسياسة على السواء، وجعلت من السكان مبدأ للثروة، وقوة للإنتاج، وإطاراً للضبط.[2]

وعلى هذا الأساس، فإن قراءة كتاب: مولد السياسة الحيوية، تولّد انطباعاً مفاده أن ميشيل فوكو انتصر لليبرالية، وأن تنوع تقنيات الحكم في الليبرالية قد أذهله. هذا ما يؤكده تعريفه لليبرالية بأنها تسيير للتعدّد. والمسار العام للكتاب يؤكد هذا التوجه. فبدلاً من تفصيل القول في السياسة الحيوية نجد ميشيل فوكو يتجه ، وبعض الدارسين لا يتردد في وصف ذلك بالإنزلاق dérapage نحو تحليل الليبرالية بواسطة الاقتصاد السياسي، رافضاً لما أسماه بالمقولات العامة للفلسفة السياسية المتمثلة في الدولة والمجتمع والفرد ومركزاً على الممارسات الملموسة لتاريخ الليبرالية منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى غاية النصف الثاني من القرن العشرين وبخاصة كما تظهر في الألمانية والأمريكية باسم الليبرالية الجديدة néolibéralisme [3].

[1] - الزواوي بغورة، **مدخل إلى فلسفة ميشال فوكو**، مرجع سابق، ص151.

[2] - المرجع السابق، ص152.

[3] - المرجع السابق، ص159.

وهنا يُطرح السؤال: لماذا اهتم فوكو بالليبرالية؟ يمكن أن نتلمس الإجابة على هذا السؤال في ما قاله فوكو في الدرس الثاني من : الأمن والإقليم والسكان، حيث عبر عن هدفه بضرورة وضع حد لتحليلاته عن السلطة الانضباطية. وهو ما يفيد عدم كفاية هذا النموذج من نماذج الحكم في التحليل السياسي وبالتالي ضرورة إيجاد إطار نظري جديد اصطلح عليه بالسياسة الحيوية، لأن السلطة الانضباطية وقعت في مأزق موقفها من الحرية، في حين أن السلطة الحيوية، كما أوضحنا سابقاً، تقوم على الحرية أو على نوع من الحرية المتمثلة في حرية التنقل. وإننا نعلم أن هذه الحرية تشكل أساس الليبرالية القديمة والليبرالية الجديدة على حد سواء. بل إن السياسة الحيوية بوصفها فناً من فنون الحكم لا تقوم فقط على الحرية، بل تعمل على حماية الحرية أيضاً.[1]

[1] - الزواوي بغورة، **مدخل إلى فلسفة ميشال فوكو**، مرجع سابق، ص159.

المبحث الثاني: الفلسفة –السلطة– الحيوية في نظر ميشيل فوكو

لا يُمكن بحال من الأحوال تناول مسألة الفكر الحيوي، أو الفلسفة الحيوية، أو حتى السياسة الحيوية بدون العودة إلى الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو، الذي يُعد بحق بمثابة المؤسس الأول، ومن المبادرين الأوائل الذين خاضوا في مثل هذه المسائل، ومحاولة تقريب الدراسات الإنسانية والاجتماعية بوجه عام إلى حقل الدراسات البيولوجية، ومن ثمة يمكن القول بأن الدراسات التي قام بها فوكو في هذا الميدان، أعاد للدراسات الفلسفية عمومًا والإنسانية والاجتماعية روحها وحيويتها، بعدما كانت مرهونة بالدراسات العقلية والتجريدية أو إن صح القول بالدراسات الميتافيزيقية.

ولعل الظهور الفعلي لهذا المصطلح كان في مطلع سبعينيات القرن الماضي، في بعض من محاضرات ميشال فوكو، الذي صرّح بصفة مباشرة ضمن فعاليات ندوة نظمها "معهد الطب الاجتماعي" في البرازيل، بعنوان: " المراقبة الرأسمالية للجسد"، بحيث صرح فيها فوكو "على أن الجسد في حد ذاته يُمثل واقعة سياسية حيوية، والطب إستراتيجية سياسية حيوية"[1]، ويظهر لنا من خلال هذا القول، أن الدراسات الإنسانية والسياسية والطبية تندرج ضمن مجال حيوي، وأن كل الوقائع الإنسانية مهما تعددت أسبابها، وتنوعت مشاربها، فتبقى في الأصل ذات دلالة حيوية.

كما نجد أيضا في هذا المقام، بعض الدلالات التي توحي إلى مفهوم الفلسفة أو الفكر الحيوي في فلسفة ميشال فوكو، ويظهر لنا ذلك في مختلف كتبه، مثل كتاب "يجب الدفاع عن

[1] - مرجع سابق، ص136.

المجتمع" وكتاب "تاريخ الجنسانية" وكذا كتاب "المراقبة والعقاب"، "مولد السجن"، بحيث عمل من خلال هذه المؤلفات إلى الحديث عن الفكر الحيوي والعمل على تطويره[1]. ويقول فوكو في كتابه : يجب الدفاع عن المجتمع: "يبدو لي أن إحدى الظواهر الأساسية في القرنين الثامن عشر18والتاسع عشر 19م، هي ما يمكن أن نسميه باهتمام السلطة بالحياة، أو بتعبير آخر اهتمام السلطة بالإنسان، بوصفه كائنًا حياً، أي حدوث نوع من الدولنة للكائن البيولوجي"[2].

تُعرف السلطة الحيوية بأنها " السلطة التي تحل فيها الحياة محل الحق كرهان للصرعات السياسية، حتى وان عبرت هاته الصراعات عن ذاتها باسم الحقوق كالحق في الحياة والجسد والصحة والسعادة وإشباع الرغبات، الحق في ما وراء كل أشكال القمع أو الاغتراب في الالتقاء بذواتنا ولكل ما يمكن أن تكونه "[3] إن هذه الحقوق كانت مهمشة من قبل سلطة القانون حيث كان الفرد محروما من المطالبة بحقوقه نتيجة الضغوطات والاضطهاد التي كانت تمر في حقه ل كن مع الانقلاب الذي حدث أصبحت حقوق الجسد النوع من مهمة السلطة السياسية.

كما عرفها فوكو من خلال دروسه التي ألقيت في كوليج دوفرانس، بأنها" : الطريقة المستعملة منذ القرن عشر في محاولة عقلنة المسائل المطروحة على الممارسة الحكومية والمتعلقة بالظواهر الخاصة بمجموعة من الأحياء، الذين يؤلفون جملة السكان : الصحة ،نسبة المواليد، طول العمر الأجناس ."[4]... يتضح من خلال هذا التعريف تدخل الدولة في

---

[1] - بن سعيد مراد دنيا، **البيولوجيا السياسية وفهم الشمولية، العنف والسلطة في فكر ميشال فوكو وحنة أرندت**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01 أكتوبر 2017، ص 61.

[2]- ميشيل فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص 233.

[3] - عبد العزيز العيادي، **ميشيل فوكو، المعرفة والسلطة**، (ط1؛ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1994)، ص 78.

[4] - ميشيل فوكو، **دروس ميشيل فوكو**، مصدر سابق، ص 59.

معالجة الظواهر والمسائل المطروحة من قبل السكان من خلال وضع آليات واستراتيجيات سياسية تدير من خلالها حياة السكان.

وتعنى أيضا " جملة من العمليات والإجراءات المتمثلة في نسبة الولادات والوفيات ومعدل الخصوبة والإنجاب وحالات الصحة والمرض، والتي ترتبط كلها بعمليات اقتصادية واجتماعية ...ونظهر هذه العمليات في القياس والإحصاء وعلم الديموغرافيا والعناية بالصحة والاهتمام بالمر[1]. ونلمس من هذا التفريق أن هدف السلطة تمثل في وضع مجموعة من الآليات والإجراءات للعناية بحياة السكان ومن بين الظواهر التي سعت السلطة للاهتمام بها المرض والصحة، حيث حاولت توفير العلاج والطب وعملت على نشر التوعية لدفع الأوبئة والأمراض ومنع انتشارها بهدف حماية الإنسان والحفاظ على استقرار الأوضاع الاقتصادية وذلك لان زيادة القوة الاقتصادية يكون بزيادة البشر كما ظهرت عدة علوم مثل علم الإحصاء وعلم الديموغرافيا وعلم حفظ الصحة وغيرها.

كذلك اهتمت السلطة بموضوع الشيخوخة والفرد العاطل وكل أنواع الشذوذ والعاهات البيولوجية وكذلك الاهتمام بالجنسانية لحفظ النسل وتنشيط الولادات وخفض نسبة الوفيات، إضافة إلى اهتمامها بالمحيط الطبيعي للإنسان والبيئة التي يسكنها والمناخ ومشاكله، وكذلك المحيط الاصطناعي الذي صنعه الإنسان.

لقد سيطر نظام السيادة والقانون فترة طويلة من الزمن حيث اعتبر الموت والتهديد آنذاك هو موضوع للسلطة، فالملك له الحق في حياة وموت رعاياه الذين لا يدافعون عنه تحت غطاء مشروعية القانون الذي يبرر مثل هذه الأفعال أي القتل والموت فالقانون << لا يمكن إلا أن يكون مسلحا وأفضل أسلحته على الإطلاق هو الموت الذي يرفعه على الأقل كتهديد مطلق في وجه كل من يخترقه فمرجعتيه القانون دائما هي السيف[2]. »

[1] - الزواوي بغورة، **مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو**، مرجع سابق، ص140.

[2] - عبد العزيز العيادي، **ميشيل فوكو، المعرفة والسلطة**، مرجع سابق، ص 76.

لكن منذ العصر الكلاسيكي بدأ يحدث انقلاب وتحول متواصل وسريع مس مختلف المجالات ومنها مجال السلطة وهذا ما حدث مع نهاية القرن الثامن عشر حيث تحول مسار السلطة نتيجة ظهور السكان كمشكلة اقتصادية وسياسية، للسكان، الثروة ،السكان –اليد العاملة، الطاقة، العمل، السكان– التوازن بين نموهم الذاتي ونمو الموارد التي تميل كونها إلى اللاهتمام بالحياة والسكان بدلا من التركيز على الموت والقانون والسيادة أي اللاهتمام بالقضايا والمسائل التي يطرحها السكان والمتعلقة بالولادة والأمراض والحالات الصحية والسكن والتغذية والإنجاب وغيرها من متغيرات الحياة وظواهرها من اجل تنظيمها وإدارتها، فكانت هذه التحولات عاملا في ظهور ما يسمى « بالسلطة الحيوية » وحدث ذلك في النصف الثاني من القرن الثامن عشر 18م[1].

في مفهوم السياسة الحيوية يقول ميشيل فوكو : غير أن ما يمكن تسميته عتبة الحداثة البيولوجية لمجتمع معين فإنه يتحدد حين يدخل النوع البشري كرهان في إستراتيجيات السياسة الخاصة طوال الآلاف من السنين ظل الإنسان على ما كان عليه بالنسبة لأرسطو حيوان حي ، وفوق ذلك، قادر على أن يكون له وجود سياسي، أما الإنسان الحديث فهو حيوان تدخل حياته ككائن حي في صلب سياسته.[2]

استعمل ميشيل فوكو مصطلح السياسة الحيوية لأول مرة في عام 1974، وتلك المحاضرة التي قدمها في معهد الطب الاجتماعي بجامعة "ريو" بالبرازيل ضمن ندوة كان موضوعها المراقبة الرأسمالية للجسد، حيث قال : يمثل الجسد واقعة سياسية حيوية، و الطب إستراتيجية سياسية حيوية 82 . وأن الانتقال من طب الدولة و الطب الحضري إلى طب العمل، كما بينا ذلك سابقا، قد تم من خلال دراسة الأمراض و السكان.

[1] – ميشيل فوكو، **إرادة المعرفة**، مصدر سابق، ص 45.

[2] – الزواوي بغورة، **منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة المعاصرة**، دراسة نقدية تحليلية، (قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت،الرسالة 351، الحولية32، مارس2012)، ص 39.

لا يفرق ميشيل فوكو بين السياسة الحيوية والسلطة الحيوية، لأنهما يشيران إلى تحول ع للسلطة. ولقد ظهر هذا المفهوم في مجموعة من أعماله الأساسية وبخاصة الحياة إلى موضوع في درسه الذي ألقاه بالكوليج دي فرانس للسنة الجامعية 1975-1976 و كان بعنوان: يجب الدفاع عن المجتمع، وفي كتابه: إرادة المعرفة 1976، ثم في دروسه الأمن و الإقليم و السكان 1977 1979، و في مولد السياسة الحيوية 1978-1979، وأخيرا في حكم الأحياء 1979-1980. ويرتبط مفهوم السياسة الحيوية بمفهوم السلطة الانضباطية الذي قدمه في كتابه المراقبة والمعاقبة، مولد السجن 1975 وبمفهوم فنون الحكم الملك <gouvernementalité كما درسه أعماله الأخيرة، وفي مجموع نصوصه التي نشرت في أربعة مجلدات بعنوان: أقوال و كتابات.[1]

وعليه فإنه يمكن القول إن التحليلات التي قدمها فوكو في مجموعة من نصوصه قد كشفت عن البعد الأساسي للسياسة الحيوية في ممارسة السلطة الحديثة. ويقصد بها تلك السياسة التي تجعل حياة الناس، بوصفهم كائنات حيَّة، موضوعا لاستراتيجيات سياسية. كما تشير من الناحية التاريخية إلى الانتقال الذي حصل في شكل السلطة في المجتمعات الغربية الحديثة من سلطة قائمة على السيادة والقانون إلى سُلطة قائمة على الحياة.[2]

لم يهتم فوكو بالحياة، وإنَّما اهتم بالممارسات الاجتماعية المعنية بالجسد والسكان وأثرها على المسار الوجودي للأفراد والجماعات ومما لاشك فيه أن هذا الاهتمام قد أدى إلى إحداث توجه مثمر في العلوم الاجتماعية والإنسانية، إلا أنه مع ذلك، ترك موضوع الحياة ينفلت من البحث ولكن على الرغم من هذا الموقف النقدي.[3]

[1] - الزواوي بغورة، **منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة المعاصرة**، مرجع سابق، ص40.

[2] - المرجع نفسه، ص14.

[3] - المرجع نفسه، ص19.

الفصل الثاني

مجالات الفلسفة الحيوية عند ميشيل فوكو

المبحث الأول: المجال الصحي (فلسفة الطب)

المبحث الثاني: المجال السياسي (السياسة الحيوية في مقابل السياسة التقليدية)

المبحث الثالث:المجال المعرفي (علاقة فلسفة الحياة بالمعرفة)

المبحث الأول: المجال الصحي(فلسفة الطب)

في سبعينيات القرن العشرين من هذا يمكننا القول: أنه إذا كان ميشيل فوكو قد درس الطب والتاريخ الطبيعي والبيولوجيا يوصفها فروعا معرفية ضمن مفهومه التاريخ الأفكار القائم على الوصف الأركولوجي، فإنها قد حضت المعرفة الطبية بتحليل علمي وسياسي وذلك ضمن أطروحته حول علاقة المعرفة والسلطة ولقد بين ذلك في سلسلة من المحاضرات التي ألقاها في جامعات البرازيل في سبعينيات القرن العشرين، حيث أشار إلى ما سماه بالتاريخ الحيويbio histoire في مقابل السلطة الحيوية Biopouvoir ، ويعني التاريخ الحيوي ذلك الأثر الذي يحدثه التدخل الطبي على المستوى البيولوجي.

وفقا لهذه الصفات حاول فوكو متابعة كيفية تحول الجسد إلى قيمة سياسية وطبية، وهذا من خلال ثلاثة أشكال طبية هي:

أ- **طب الدولة Medicine d'état** الذي تطور في ألمانيا ابتداء من القرن الثامن عشر، وذلك من خلال علم سمي بعلم الدولة **Science de état** الذي يعني الاشتغال العام لآلة الدولة.[1] ومن جهة أخرى يعني المناهج التي تهتم الدولة لتنتج وتراكم المعارف التي تسمح لها بالقيام.

لقد أصبحت الدولة موضوعا لمعرفة ومجالا لاكتساب المعارف، وفيها تطورت ممارسة طبية تهتم أساسا بتحسين الصحة العمومية واعتمد برنامج خاص لهذا الغرض سمي بالشرطة الطبية للدولة Police médicale d'Etat تمثلت مهمته في إقامة نظام للملاحظة المرضية، وذلك بجمع المعلومات في المستشفيات وعند الأطباء وفي المدن والأرياف، وتسجيل مختلف الأمراض والأوبئة وضبط Normalisation الممارسة والمعرفة الطبية[2].

---

[1] – ميشيل فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، مصدر سابق، ص ص 235-236.

[2] - الزواوي بغورة، **منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة المعاصرة**، مرجع سابق، ص33

وهكذا نجد وفقا لتحليلات ميشيل فوكو، كل طبيب يكلف بنسبة سكانية تقدر ما بين ستمائة ساكن (600) إلى ألف (1000) ساكن وفي هذه الفترة ظهر طبيب الذي يشبه إداري الصحة.

يقول ميشيل فوكو: إن تنظيم المعرفة الطبية من طرف الدولة، وضبط الوظيفة الطبية جانبية والحاق الأطباء بالإدارة العامة، وإدماج مختلف الأطباء في التنظيم الطبي للدولة، نتج عنه سلسلة من الظواهر الجديدة التي تميز ما يمكن تسميته بطب الدولة. فلا يتعلق الأمر بقوة العمل، وإنما بقوة الدولة في مواجهة أزماتها الاقتصادية والسياسية وبخاصة أزماتها مع جيرانها.[1]

ب- **الطب الاجتماعي أو الطلب الحضري أو المديني** Médecine urbaines الذي تطور في فرنسا، ويقوم على حركة توسيع البنى الحضرية يقدم ميشيل فوكو لوحة تاريخية عن ظهور المدينة في فرنسا، مركزا بحثه على مدينة باريس، وذلك بحكم أن المدينة لها مشاكل كثيرة صحية وتنظيمية تتطلب خططا استعجاليه وجملة من الإجراءات منها في حالة الأوبئة يجب على السكان أن يلزموا مساكنهم.

إن الطب الحضري في نظر فوكو، ليس علما خاصا بالإنسان، وإنما هو طب الأشياء والهواء والماء.طب شروط الحياة في الوسط البيئي من خلال تطور الدراسات البيولوجية.

إن توفر السلامة الصحية أو انعدامها متعلق بحالة الأشياء والمحيط وتأثيرهما على الصحة. والصحة العمومية هي المراقبة السياسية والعلمية معا. كما ارتبط مفهوم الصحة العمومية في القرن التاسع عشر بالطب الاجتماعي .وظهرت أول مجلة تحمل اسم الصحة العمومية سنة1820.

[1] -.المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

جـ- طب قوة العمل Medicine de la force de travail :هو الشكل الثالث الذي ظهر في انجلترا ويهتم بصحة الفقراء والعمال، وذلك لأسباب كثيرة منها: ظهور الفقراء والمحتاجين كقوة سياسية تنذر بإحداث ثورات وانتفاضات و ظهور أوبئة كالكوليرا بباريس سنة 1832.ما أدى إلى ظهور الأحياء الراقية والأحياء الشعبية.

وإجمالا فقد عمل طب قوة العمل على مراقبة صحة الفقراء والاعتناء بأجسادهم من أجل أن تكون من جهة صالحة وقادرة على العمل، ومن جهة أخرى أقل خطورة على الطبقات الغنية [1]. وفي تقدير ميشيل فوكو، فان هذا الشكل الطبي سيكتب له البقاء أكثر من الشكلين السابقين لان هذا النظام تمكن من تحقيق ثلاثة أهداف هي المساعدة الطبية الفقراء، و مراقبة صحة قوة العمل، والمراقبة العامة للصحة العمومية.

وعليه فإنه إذا كان الطلب الألماني باهظ الكلفة والطب الحضري الفرنسي مجرد طب مراقبة عامة بلا سلطة معينة، فان الطب الانجليزي أو طلب قوة العمل، سمح بظهور طب يتمتع بسلطات مختلفة وهو إلى اليوم ما يزال الشكل الطبي المعتمد.[2]

ولكن إذا كان فوكو قد اهتم في بداية مساره العلمي و الفلسفي بعلم النفس والطب النفسي، وبالمرض العقلي و الجنون، سواء بحكم اختصاصه بما أنه أعد شهادتين جامعيتين في علم النفس العام و علم النفس المرضي أو لرغبته في ذلك، على في بداية الستينيات قد وضع مجال اهتمامه مل ظاهرة المرض في شكلها العقلي والعضوي، وهو ما ظهر بي شتابه : مولد العيادة أركيولوجيا النظرة الطبية (1963)، حيث درس مرحلة تاريخية قصيرة نسبيا لا تتجاوز نصف قرن (1780-1820)، تبدأ مع نهاية القرن الثامن عشر وتنتهي في بداية القرن التاسع عشر، رصد فيها ثلاثة أشكال من الطب هي الطب التصنيفي، وطب الأوبئة و الطب العيادي و التشريحي للمرض.

---

[1] - الزواوي بغورة، **منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة المعاصرة،** دراسة نقدية تحليلية، مرجع سابق، ص223.

[2] المرجع نفسه، ص224.

ولقد كان لكل شكل من أشكال الطب ،هذه تصوره للمرض، أي طريقة لتمفصل الأسباب والأعراض المرضية، ومعطياته الفيزيولوجية، ولكل واحد منها طرقه في التدخل و العلاج و الشفاء.

فإنني سأكتفي بالإشارة إلى الشكلين الأخيرين باعتبارهما من أشكال الطب الحديث والمعاصر، ويمكن إجمالهما في العناصر الآتية:

1- يحتل مفهوم الوباء في طب الأوبئة مكانة مركزية، ويتميز بطريقة ما الواقعة الباثولوجية، تتمثل في إصابة الوباء لعدد معتبر من الأفراد. كما يقول في: تقاطع تسقي لسلسلة من المعلومات المتشابهة فيما بينها، أما الغريبة بعضها عن بعض سلاسل عدة تغلف مجموعة غير محددة من الحوادث المنفصلة لكن اتفاقها يؤدي في استقلالها الذي يقبل العزل، إلى ظهور الواقعة الفردية .

2- أعقب الطب الوبائي الطب العيادي الذي يتصف بنا النظرة الطبية، وعزل السمات أو الأعراض، وتحديد المماثل و المختلف منها.[1]

3- يختلف الطب العيادي من الطب التصنيفي في طابعه الكمي، أو ما يسميه المنطق الكمي. يقول: «ليس المعرفة الطبية من يقين، ما لم تستند على نسبة عددية من الحالات التي اخترتها» . وبذلك يكون الطب العيادي قد أدخل الفكر.

4- المرض في الطب العيادي واقعة متنوعة ومتغيرة وإمكانات عديدة قابلة البناء والتركيب.

إن المعرفة العيادية تفرض نوعا من المسافة بين الطبية العامة والمعطيات العيادية على الطبيب أن يحذر من النظرية العامة مقارنة بالمعطيات التي ينظر فيها أو يخترها .

[1] - الزواوي بغورة، **منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة المعاصرة**، المرجع السابق، ص88.

5- يعطي الطب العيادي أهمية كبيرة العامل الزمن مقارنة بالطب التصنيفي، ويعمد إلى رسم التسلسل الطبيعي، وتعاقب الأعراض، وإعادة بناء التطور الزمني للأمراض. من هنا فإن الطب العيادي مجهز بمؤسسات لإدارة ملفات الأمراض و المرضى.

6- يعتمد الطب العيادي على التشريح بوصفه منهجا أساسيا في المعرفة الطبية والذي أنجز عملية التركيب بينهما هو الطيب الفرنسي سكفيه بيشا (Xavier bichat): (1802-1771) وذلك من خلال ملاحظته للجثث و إجراء المقارنات المفيدة بين الأجزاء الصحية والمرضية وبين الأجساد التي تحمل أمراضا متماثلة. و بذلك يكون التحليل الطبي قائم على التحليل الفيزيولوجي و متجذر في الجسد الملموس.

لعل أول سمة تفرض نفسها تلك التي أعلن عنها في مقدمة الكتاب نفسه، والخاصة بتقاطع الأجساد مع النظرات أو الرؤى وهو ما يعني أن الطب العيادي يتميز بنظرة معززة بلغة طبية تاريخية قادرة على وصف الجسد. وأن هذه النظرة قد حققت منهجا جديدا و قادرا على استخراج البنى التاريخية للمعرفة من دون أن تفترض وجود حقائق أبدية، وذلك من خلال ضرب من التوافق : بين جسد المرض و جسد المريض، باعتباره معطى تاريخي و مؤقت .

و السمة الثانية هي أن الجسد يظهر في أشكال طبية تاريخية هي:

1-**طب التصنيف** (nosologique) :الذي يستند على الأجساد المريضة لمعاينة الأعراض المرضية، بغرض تحديد نوعية الأمراض، و بناء قوائم تصنيفية تسمح للطبيب بتعيين العلاقات و التماثلات و الاختلافات بين الأشكال.

2-**طب الأنواع** (espices): الذي ينظر في حقيقة الجسد المادية، لأنه هو الذي يُظهر المرض، ويثبت وجوده. فلا يمكن معرفة المرض ومعالجته إلا من خلال الجسد[1]. و لكن مشكلة هذا النوع من الطب تمثلت في عدم قدرته على معرفة الأوبئة التي عرفها القرن الثامن عشر،

[1] - و كذلك الترجمة العربية صفحة 23. استعمل المترجم في هذه الفقرة لغة الجسد.

بحكم انتشارها وإصابتها لمجموع السكان وليس الأفراد فقط؛ ولأنَّ هذه الأوبئة يرجع سببها لظروف خاصة، كأن يكون مكانًا معيَّنا، أو لحظة محددة، أو فصلاً من فصول السنة، أو مناخاً ما، وأخيرًا لأن الأوبئة لا تتكرر بالنمط نفسه و تصيب مجموع الأفراد المقيمين في إقليم معين.

1- **طب عبادي** (clinique): ظهر بعد الثورة الفرنسية، وسمع للجسد بأن يتحدث عن نفسه لأول مرة لأنه اعتبر مرئيا. وهذا ما تشهد عليه أعمال بعض الأطباء في هذه المرحلة، و أشهرها أعمال الطبيب كيتيس (Cabanis) و الفيلسوف كوندياك (Condita)[1] (ولأنه اعتبر كل عرض (symptome) جسمي بمثابة علامة على المرض من هنا أصبح وصف الأجساد يعني الرؤية والمعرفة في الوقت نفسه[2] ولقد عرف الطب العيادي تحولاً نوعيا من خلال استعمال التشريح (anatomic) الذي يعد علامة فارقة في تاريخ الطب و المعرفة الطبية، لأنه يرى أن الحقيقة الطبية تمر عبر الجسد الجنة.

لقد بقي الطب لقرون عديدة بعيدا عن البحث في أجساد الموتى، ولكن مع مجيء الطبيب بيشا (Bichat) وإسهاماته الطبية، أصبح من الممكن للمعرفة الطبية أن تقرأ الجسد عموديا و أفقيا، وأن تبحث في بنية الجسد و تاريخه. لم يعد المرض في هذا النوع من الطب، الطب التشريحي جوهرا، وإنما أصبح عنصرًا يمكن معاينته من خلال رؤية معقدة. و بذلك تم تجاوز تلك الثنائية التي كان يقوم عليها الطب العيادي في بدايته و القائمة على العرض العلامة، وتبينت أهمية تشريح و فائدتها الإجرائية أو الوظيفية، و هو ما سماه فوكو بإدراك

[1] - يحيل فوكو إلى أعمال الطبيب كينيس ومنها ملاحظات حول المستشفيات و في درجات اليقين في الطب وكذلك أعمال الطبيب ديدو (Didot): نظرة سريعة حول الثورات و إصلاح الطب، وأما كوندياك فيحيل إلى كتابه المعروف: مقال في أصل المعارف الإنسانية.

[2] – المرجع السابق، ص163.

اللامرئي المرئي، و تحول الموت بطريقة مفارقة، إلى وسيلة تسمح بمعرفة أفضل للحياة و الجسد.[1]

و يعنينا في موضوعنا هذا التاريخ الطبيعي، لأنه معني بدراسة الكائنات الحية، و لأنه يقوم مثل الطب التصنيفي على مجرد تسمية للمرئي.

كذلك الخطاب العلمي الطبي الذي صاحبها. و لقد استعمل لهذا الغرض مصطلح الاركيولوجيا archeologie لتحليل المواضيع التي تميز التجربة الطبية و التي حددها في مقدمة كتابه على هذا النحو: يتعلق الأمر في هذا الكتاب بدراسة المكان واللغة والموت والنظرة)[2].

و لدراسة هذه المواضيع استعان بالأرشيف الطبي للمرحلة الممتدة من عام 1780 إلى 1820، وذلك طبقا لمقاربته المنهجية المتمثلة في قراءة أرشيف الحقبة المدروسة، أو وفقا لمصطلحه المنهجي التشكيلة الخطابية formation discursive و بالاستناد على هذه المقاربة المنهجية درس ثلاث ممارسات خطابية في الطب الحديث هي: الطب التصنيفي، والطب العيادي، والطب التشريحي.

وفقا للتحليل الاركيولوجي لميشيل فوكو فان الطب التصنيفي الذي يقوم على ترتيب الأمراض هرميا قد ظهر في العصر الكلاسيكي.و يعتمد على القاعدة القائلة: لا تعالجوا أي مرض دون أن تتأكدوا من جنسه،[3] و لكن مع نهاية القرن الثامن عشر، ستتكفل الدولة بتعيين الأطباء في مختلف الأقاليم، وتبدأ السلطة بالتدخل في المسائل المتصلة بصحة الجمهور، ويترافق ذلك مع ظهور الطب العيادي، حيث ستصبح العيادة المكان الذي تتقاطع فيه النظرة

[1] –المرجع السابق، ص221.

[2] - Freitag, Michel, **Totalitarismes: de la terreur au meilleur des mondes**, in, Revue MAUSS, N25, 2001.

[3] - Fraser,Nancy, **Qu'est-ce que la justice sociale**? reconnaissance et redistributiontra. Est elle Ferrarese, Paris, La decouverte, 2005.

بالمنطوق، ويتأسس طب على مفهوم النظرة أو الرؤية، تتميز بطابعها المؤسس والمدقق، و ترتبط بقواعد معرفية سواء على مستوى البناء اللغوي للعلامات، أو على مستوى إدراك الحالة.[1]

يؤكد هذا التوجه في نظر ميشيل فوكو، الطبيب فيليب بينال (1745-1826 P.Pinel)، الذي قال: إن جميع الأعراض يمكن أن تتحول إلى علامات لدى الطبيب الذي يتمتع بثقافة مكتملة ورفيعة و ينبغي أن ينظر إلى المرض على أنه كل غير منقسم، من بدايته إلى نهايته، وينتظم في أعراض تتابع على فترات.[2]

وبناء عليه، فإنه إذا كان الطب التصنيفي يقيم قوائم الأجناس والأنواع، فإن الطب العيادي يبحث في التطابق بين الرؤية والكلام، والحقيقة الظاهرة للمرض والعرض و العلامة، وذلك لأن الطب العيادي لا وجود له إلا إذا كان مرئيا وبالتالي منطوقا و معنى هذا أن المرئي والمنطوق يشكلان كينونة المرض. كما يتميز الطب العيادي بدراسة و إدراك الحالات وهو ما المرض في درسه الطبيب بيار جان جورج كبنيس P.J-G Cabanis(1757-1808)، الذي اعتمد على طريقة دراسة الحالات، ومنها: حساب درجات اليقين، كحساب حمل المرأة وتقسيمه إلى ثماني درجات، و الاستفادة من تكرار الحدوث ،[3] وهذا بالاعتماد على أكثر من ملاحظة وطريقة لدراسة الظاهرة.

1 - Fukyama, Francis, **La fin de l'homme. Les conséquences de la révolution biotechnique**, Paris, La table ronde, 2001.
2 - Gaillon, Jean, **La philosophie et la biologie**, in Encyclopédie philosophique universelle, tome, 4, Paris, PUF.
3 - Gernet, Katia, **La question du biopouvoir chez Foucault et Agamben**, In, Methods savoirs et textes, N4, 2004.

المبحث الثاني: المجال السياسي (السياسة الحيوية في مقابل السياسة التقليدية):

يفيد هذا التطور التاريخي تحوّل الحياة إلى مشكلة سياسية، وهو أحد مضامين السياسة الحيوية التي تعني جملة من العمليات والإجراءات المتمثلة في نسب الولادات والوفيات ومعدلات الخصوبة والإنجاب وحالات الصحة والمرض، والتي ترتبط كلها بعمليات اقتصادية واجتماعية ميزت المجتمعات الغربية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وتتصل اتصالاً مباشراً بالنظام الرأسمالي. وتظهر هذه العمليات في القياس والإحصاء وعلم الديموغرافيا والعناية بالصحة والاهتمام بالمرض الذي أصبح مختلفاً نسبياً عن ذلك الاهتمام المتعلق بالأوبئة التي أصابت المجتمعات في العصور الوسطى وسميت بالإمراض المستوطنة وهذا كله يؤكد بجلاء علاقة المعرفي بالسلطوي.

وتتمثل الوظيفة الأساسية للسياسة الحيوية في الاهتمام بهذه الظواهر. وهذا ما أدى إلى تأسيس طب لهذا الغرض كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وتم تنظيم العلاج والاستشفاء، والإعلام والقيام بحملات توعية وتعليم للنظافة وتطبيب السكان. وكانت المشكلة الكبرى في بداية القرن التاسع عشر تتمثل في الشيخوخة وفي الفرد الذي يكون خارج النشاط الإنتاجي، بالإضافة إلى الحوادث والعاهات وأشكال الشذوذ المختلفة. من هنا ستلجأ هذه السياسة الحيوية إلى وضع آليات «أكثر نجاعة ونفاذاً من الناحية الاقتصادية، وأكثر عقلانية من مؤسسات الرعاية الكبيرة التي كان حجمها كبيراً وتتخللها ثغرات كبيرة وكانت مرتبطة بالكنيسة بشكل أساسي. سنرى آليات أكثر نفاذاً وبراعة، وأكثر عقلانية وتوفيراً للفرد والجماعة وأكثر أماناً.. الخ).[1] كما ستهتم السياسة الحيوية بموضوع علاقة الإنسان بالمحيط الطبيعي (المناخ، المياه، الهواء، المستنقعات)، وبالمحيط الاصطناعي الذي صنعه الإنسان وآثاره على السكان، وهو ما طرح مشكلة المدن.

أولاً – حرب الأعراق

[1] - ميشيل فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، المرجع السابق، ص237.

بين ميشيل فوكو في كتابه :**يجب الدفاع عن المجتمع**، عملية الانتقال التي حصلت في السلطة الغربية من سلطة قائمة على السيادة والقانون إلى سلطة قائمة على الحياة، وذلك في سياق تحليله لما أسماه بحرب الأعراق guerre des races التي طرحت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وكيف تم توظيف موضوع العرق في الدولة الحديثة وأدى إلى ظهور عنصرية الدولة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وذلك من خلال تحول الحياة إلى شأن من شؤون الدولة. يقول ميشيل فوكو: «إن إحدى الظواهر الأساسية في القرن التاسع عشر هي ما يمكن تسميته باهتمام السلطة بالحياة، أو بتعبير آخر، اهتمام السلطة بالإنسان بوصفه كائناً حياً، أو بحدوث نوع من الدولية étatisation للبيولوجيا، أو على الأقل حدوث اتجاه لما يمكن أن نسميه بدولنة البيولوجي.[1]

ولتحليل هذه السياسة الحيوية، رجع ميشيل فوكو إلى ما أسماه "النظرية الكلاسيكية في السيادة"، التي تعتبر أن حق الحياة والموت من الحقوق الأساسية للملك/ العاهل /الحاكم. ومن الناحية التاريخية، فإن نظرية السيادة قد سادت في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وتمثلها نظرية العقد الاجتماعي.

وبناء على هذا الفهم للسلطة، قدم ميشيل فوكو وصفاً لأشكال من السلطة التي درسها في مرحلة السبعينيات من القرن العشرين، وكان أولها السلطة الانضباطية وذلك في كتابه المراقبة والمعاقبة حيث مثلت الشكل الثالث بعد التعذيب supplice[2] والعقاب punition [3]،

---

[1] – ميشيل فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، مصدر سابق، ص233.

– ملاحظة : المقصود بدولنة البيولوجيا étatisation de la biologie تحويل البيولوجيا إلى شأن من شؤون الدولة.

[2] – يقول فوكو : إن التعذيب تقنية (...)، يجب أولاً أن تحدث كمية من الوجع التي إن لم يكن بالإمكان قياسها بدقة، فإنه يمكن تقديرها ومقارنتها وترتيبها. و الموت التعذيبي هو فن إمساك الحياة في الوجع. وذلك بتقسيمه إلى ألف موتة مع الحصول قبل أن تتوقف الحياة على أشد حالات الفزع المراقبة والمعاقبة، مرجع سبق ذكره، ص 71.

[3] – يحصي ميشيل فوكو أشكال العقوبة التي اصطلح عليها بتقنية الدلالات في القواعد الآتية : قاعدة الكمية الأقل، والقاعدة الفكرية الكافية، وقاعدة المفاعيل الجانبية، وقاعدة اليقين التام، وقاعدة الحقيقة المشتركة وقاعدة التخصص الأمثل. المرجع نفسه، ص 122–119 . ويحدد صلة العقاب بالقانون بقوله : يأتي العقاب معملاً خطاب القانون ومبيناً أن القانون الذي يربط بين الأفكار يربط أيضاً بين الوقائع المرجع نفسه، ص 107.

وأخيراً الانضباط discipline وكان موضوعه المركزي الجسد: جسد الجندي، وجسد المريض، وجسد التلميذ، وجسد العامل، وجسد المجرم حيث يتم إخضاع الجسد للتكييف والتدريب والتطويع والإنجاب والتكاثر. ولبلوغ هذه الغاية وتحقيقها تطلب الأمر إيجاد تشريح سياسي للجسد anatomie politique du corps.

تستجيب السلطة الانضباطية في نظر ميشيل فوكو، لضرورات تاريخية واقتصادية، ومنها على وجه الخصوص، النمو الديموغرافي الذي عرف تزايداً كبيراً ابتداء من القرن الثامن عشر. وكان على تقنيات الانضباط العمل على تثبيت السكان وبخاصة بعد تزايد أعداد التلاميذ والمرضى والجنود والجانحين، بالإضافة إلى النمو الكبير في جهاز الإنتاج الاقتصادي وتعقده وضرورة الرفع من مردوديته، وهو يتفق وظهور النظام الرأسمالي.

ومن بين أشكال الانضباط المختلفة، أفرد فوكو للسجن مكانة مركزية، باعتباره مثالاً لتحكم السلطة ولـ «عقوبة المجتمعات المتحضرة».[1] كما مثل الجنس نقطة تقاطع السلطة الانضباطية بما هي تشريح سياسي لجسد الإنسان، والسلطة الحيوية Biopouvoir بما هي سياسة حيوية للسكان.

يقول فوكو : واقعياً، هيمنت هذه السلطة على الحياة منذ القرن السابع عشر متخذة شكلين رئيسيين غير متناقضين، بل يشكلان بالأحرى محوري نمو تربط بينهما شبكة وسيطة من العلاقات كان أحد المحورين وهو الأول تكوّناً كما يبدو، مركزاً على الجسد كآلة ترويضه وزيادة قدراته وانتزاع قواه، والنمو المتوازي لفائدته وطواعيته ودمجه في أنظمة مراقبة فعالة واقتصادية، كل ذلك أمنته إجراءات سلطوية تميز الأنظمة أو قواعد الانضباط ؛ إنها سياسة تشريحية للجسد البشري anatomie politique . المحور الثاني الذي تكون بعد قليل، أي حوالي منتصف القرن الثامن عشر، فهو مركز حول الجسد – الجنس البشري، حول الجسد المخترق بآلية الكائن الحي والقائم مقام الركيزة للسياقات البيولوجية : التكاثر الولادات والوفيات

[1] - ميشيل فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، مصدر سابق، ص235.

المستوى الصحي معدل أجل الحياة، والتعمير، مع كل الشروط التي يمكن أن تغيّر هذه الظاهرات ويتم الاهتمام بها بواسطة مجموعة كبيرة من التدخلات والمراقبات الضابطة إنها سياسة حيوية للسكان Biopolitique[1].

يعني هذا أن السلطة الحديثة في نظر ميشيل فوكو، تظهر بمظهرين أساسيين: مظهر الانضباط وموضوعها السجن ومظهر السياسية الحيوية وموضوعها السكان. وسواء تعلق الأمر بالسلطة الانضباطية أو بالسلطة الحيوية فإن ميشيل فوكو سيدخلهما في إطار تصوره العام للسلطة .

ولكن هذه السياسة الحيوية ستتميز بموضوع السكان مقارنة بنظرية السيادة المهتمة بعلاقة الفرد بالمجتمع، والسلطة الانضباطية المركزة على علاقة الفرد والجسد. يقول ميشيل فوكو : السياسة الحيوية لها علاقة بالسكان وبالسكان كمشكلة سياسية وعلمية في الوقت نفسه، كمشكلة بيولوجية وكمشكلة سياسية.[2]

ولكن لا تهتم السياسة الحيوية بالسكان فقط وإنما بجملة من الظواهر الجماعية لها آثار اقتصادية واجتماعية وتتميز بكونها مفاجئة وتدوم لفترة زمنية محددة، وباختصار تهتم بالظواهر الطارئة التي تحدث للسكان وستضع السياسة الحيوية جملة من الآليات والتقنيات المختلفة عن السلطة الانضباطية، كما سنبين ذلك، مثل التقديرات الإحصائية، ونسب الولادات والوفيات وكل ما يتصل بآليات الأمن حول التناسب الضروري للسكان، وذلك لأن الهدف الأساسي للسياسة الحيوية هو رفع قوة وطاقة السكان. وبذلك تختلف السلطة الحيوية عن سلطة السيادة في كونها لا تملك القدرة على الإماتة وإنما تعمل على إيجاد سلطة مستمرة وعاملة على الأحياء. فإذا كانت السيادة تحيي ،وتميت بما أن للعاهل الحق في الحكم بالموت، فإن السياسة الحيوية تحيي وتحافظ على حياة الإنسان – النوع.

---

[1] - ميشيل فوكو،**إرادة المعرفة**، تر: جورج أبي صالح؛ومراجعة وتقديم مطاع صفدي، (مركز الإنماء القومي،رأس بيروت، لبنان، دط،1990)، ص 141.

[2] - ميشيل فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، مصدر سابق، ص 238.

لا يفصل ميشيل فوكو بين ما أسماء بالسلطة الانضباطية كما درسها في : المراقبة والمعاقبة، وبين السياسة الحيوية، بل يؤكد على تضافرهما ويسوق على ذلك أمثلة منها: المدينة كما تم تصميمها في القرن التاسع عشر، ومنها بشكل خاص الحي العمالي، ومختلف الآليات الانضباطية التي يخضع لها؛ وهناك في الوقت نفسه آليات عامة خاصة بسكان المدينة على وجه العموم المتمثلة في الضمان الصحي والتقاعد والشيخوخة وبالتالي فإن شكلي السلطة مرتبطان ويقومان في الوقت نفسه على آليتين مختلفتين: السلطة الأولى تقوم على آليات الرقابة والانضباط، والسلطة الثانية على آليات التنظيم والإشراف.

وفي حين أن بنتام كان يدعو إلى عدم الإغلاق على أنظمة الانضباط في مؤسسات محدودة، كالثكنة والمدرسة والسجن، وجعلها تنتقل إلى كل الأمكنة الاجتماعية الأخرى، من أجل ولادة المجتمع الانضباطي الشامل، فإن هذه الولادة تحققت تلقائياً، عندما تغلغلت شبكيات التنظيم في كل مجال فردي ومؤسسي. وأصبح هاجس التنظيم يبرر كل أساليب الإخضاع والإشراف والإصلاح والتوجيه.

هنا يلقي كتاب المراقبة والمعاقبة الضوء على شبكيات سلطوية أخرى متناهية في الصغر تنسج عنكوبتها في علاقات القوة ما بين الأفراد أنفسهم. إذ يغدو كل فرد رقيباً على ذاته ،وغيره حيسوياً لأتفه التصرفات، مقيماً إياها بما تستحق أو لا تستحق، تحت طائلة طبقيات لا تنتهي من القيم والاعتبارات والعادات. فالأخلاق اندمجت في الآلة الانضباطية الكبرى، ولم تستطع أن تحفظ لها ثمة استقلالية. وصار عليها أن تنفذ أوامر الانضباط وإن غلفتها بهالات من القيم والمثل. لعل ذلك هو الذي مكن لعلاقات القوى بين الأفراد أن تقود مختلف العلاقات الأخرى، وأن تشكل لها بطانة من العنف المشغف الذي يبيح لذاته استخدام : مختلف الوسائل والمتحضرة للانقضاض على منافسيه، وفي هذا الفضاء الاجتماعي الذي يغدو ساحات قتال شرسة لجميع الأفراد الذي إما هم متنافسون جميعاً على امتلاك أقل وسائل الدفاع والهجوم في

حرب رهيبة غير معلنة من قبل الجميع على الجميع، وإما أن يتم تحييد بعضهم إلى درجة تهميشهم وإلغاء مواقعيتهم .

ذلك أن الانضباط يعني السيطرة والرقابة على الفعالية اعتباراً من الجسد الفردي إلى الجسد الاجتماعي، وذلك حسب علم تشريح سياسي موجه أساساً بمبدأ توزيع القوى ومراكز التوجيه وأدوات التنفيذ وهيكليات علاقات القوة بين الأفراد والجماعات.

لكن المجتمع الانضباطي ليس مجرد تفريع الشبكيات من السلطة، تتنزل كلها من السلطة العليا الحاكمة أي الدولة بل هو يقوم على مبدأ تنويع السلطات وليس تفريع سلطة واحدة. ويكشف فوكو مثلاً في سلطة البوليس أنها بالرغم من أنها تمثل جهاز الرقابة والضبط المباشر للدولة، إلا أن «نموذج السلطة الذي تمارسه هذه المؤسسة، والميكانيات التي تستخدمها والعناصر التي تطبقها إنما هي خاصة.[1] وهنا يفاجئ فوكو قارئه كذلك عندما يستنتج أن السجن بالأحرى ليس مصدره القانون الجنائي، بل هو سبق القانون، وجاء هذا فيما بعد لينظمه.

إن للسجن مؤسسته الخاصة وطريقةً نشوئه وهيكلته المتعلقة به وحده، كما لو كان سلطة مضافة إلى الدولة أو المجتمع. وهذا ما تعنيه الموضعة الوظيفية، التي عبرت عنها فيما بعد منهجية الحيزات أو الفضاءات الاجتماعية. لكن فوكو تظل له خصوصية فكره في هذا المجال. وكما يوضح دولوز فإن ولفظة موضعي (Local) هنا لها معنيان مختلفان جداً: فالسلطة موضعية لأنها ليست شمولية، وهي ليست موضعية أو قابلة للموضعة لأنها منتشرة.

المبحث الثالث: المجال المعرفي(علاقة فلسفة الحياة بالمعرفة)

يختلف تصور ميشال فوكو للعلاقة بين المعرفة والسلطة عن التصور الذي يدرس علاقة العلم بالسياسة كما ترى ذلك الماركسية، أو علاقة العقل بالهيمنة كما تقدمه مدرسة فرانكفورت يقول ميشيل فوكو :

[1] - Foucault: Surveiller et punir. P215

«الفلاسفة والمثقفون بشكل عام يسوّغون هويتهم وخصوصيتهم وحتى نخبويتهم عن طريق إقامة حاجز منيع يفصل بين عالم المعرفة الذي يُعتقد بأنه عالم الحقيقة والحرية وبين عالم السلطة وممارسة السلطة (...). وإن الشيء الذي أدهشني لدى دراستي للعلوم الإنسانية هو أنه لا يمكن أن نفصل إطلاقاً نشأة بين كل هذه المعارف وبين ممارسة السلطة»[1] ،إذن يتحدد مفهوم المعرفة – السلطة بالجمع والربط بينهما لا بالفصل والتمييز بينهما كما هو عند الفلاسفة والباحثين عموماً، وبخاصة في الاتجاه الماركسي أو في مدرسة فرانكفورت. يقول ميشيل فوكو : تُنتج السلطة نوعاً من المعرفة وتؤدي إلى تراكم المعلومات والمعارف واستخدام كل ذلك من أجل المزيد من ممارسة السلطة، وبالمقابل فإن المعرفة هي بحد ذاتها سلطة».[2] ولعل المثال الواضح والبسيط في الأستاذ هو الجامعي الذي يحمل معرفة وفي الوقت نفسه يحمل سلطة إقرار النجاح أو الرسوب، سلطة إجازة الطالب أو عدم إجازته. لذا أنه يرى حيثما توجد السلطة توجد المعرفة أو نوع محدد منها ؛ وحيثما توجد المعرفة يوجد حد معين من السلطة. إن مجرد ممارسة السلطة يؤدي إلى خلق المعرفة وتجميع المعلومات وبالتالي استخدامها. وأيضاً، فإن ممارسة المعرفة تنتج بالضرورة نوعاً من السلطة»[3].

إن هذا الربط بين المعرفة والسلطة يشكل ميزة أساسية في مفهوم ميشيل فوكو للمعرفة، ويعكس خلفيته الفلسفية المتأثرة بفريدريك بنيتشه الذي ربط ما بين المعرفة وبين الإرادة وإرادة القوة تحديداً.

يقول فوكو : الحقيقة ليست خارج السلطة، ولا مجردة من السلطة(...). الحقيقة هي من هذا العالم، وتُنتج فيه بفضل إكراهات عدة (...). لكل مجتمع نظام حقيقة خاص به، وله سياسته العامة للحقيقة، أعني : أنماط الخطاب التي تستقبلها وتوظفها بوصفها صحيحة، والآليات والحوافز التي تسمح تمييز المنطوقات الصحيحة من الخاطئة، والطريقة التي تتحقق

1- المرجع السابق، ص225.

2- المرجع السابق، ص226.

3- المرجع السابق، ص227.

بها من الحكمين والتقنيات والإجراءات المعترف بها للحصول على الحقيقة، والوضع الشرعي للذين مهمتهم أن يقولوا ما يعمل عمل الحقيقة».[1]يُبين هذا النص المكثف علاقة المعرفة بالسلطة والمنظور النسبي لمفهوم المعرفة والحقيقة، وارتباطها بالتاريخ والسلطة كما يؤكد على جملة من النتائج منها : أن الحقيقة ترتكز على شكل الخطاب العلمي وعلى المؤسسات التي تنتجه، وتخضع لتحفيز اقتصادي وسياسي ،دائم، وتشكل موضوعاً لعملية توزيع واستهلاك واسعين، ويتم إنتاجها وتداولها تحت الإشراف الكبير لبعض الأجهزة السياسية والاقتصادية الكبرى كالتربية والجيش والصناعة وغيرها ولذلك فإنها تعد موضوعاً لمختلف الرهانات السياسية والاجتماعية.

على أن ما تجب الإشارة إليه هو أن التحليلات التاريخية التي قدمها ميشيل فوكو حول ظهور البيولوجيا والطب في علاقته بالسلطة، ستتبلور أكثر عندما استعمل مفهوماً جديداً وأساسياً في تحليلاته التاريخية والسياسية ألا وهو مفهوم السياسة الحيوية.

[1] - ميشيل فوكو،**الحقيقة والسلطة**، تر: فريق المجلة، (في الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت– لبنان العدد1،1980)،ص136.

السلطة ،الأخلاق في نظر ميشيل فوكو

المبحث الأول: الأخلاق عند ميشيل فوكو

المبحث الثاني: الأخلاق والسلطة عند ميشيل فوكو

المبحث الثالث:نقد وتقييم

المبحث الأول: الأخلاق عند ميشيل فوكو

حديث عن الأخلاق عند فوكو يقودنا للقول بأن"تاريخ الجنسانية"المتمثل في كتبه أو أجزائه الثلاثة هي التي تمثل الأخلاق عند فوكو،ولكنه دائما ما أكد على الفصل بين الأخلاق وما يسميه ب" **الإيتيكا**"،وهذا الفصل يميز بين الأخلاق باعتبارها منظومة القيم والأوامر والنواهي التي تنصب في مستوى الشخصية القمعية للمجتمع،وبين سلوك الأفراد الذي لا يمكن اعتباره مقدما أنه مندمج في الأخلاق أو خارجي عنها،إذ يبقى السلوك أقرب إلى أصحابه ومنفذيه من كل ما يمكن أن يضاف إليه قسرا أو طوعا من الأوامر والنواهي.[1]

وهنا تجدر الإشارة إلى أن التمييز على مستوى المضمون يكفي باستعمال الكلمة العربية" أخلاق "حيث لا نقصد بها منظومة القيم والأوامر والنواهي،بل القصد من ذلك سلوك الفرد قبل أن تضاف إليه القواعد والأوامر والنواهي.

مما لا شك في أن فوكو يقر بأن الفكر في العصر الحديث غير قادر على اقتراح أخلاقيات وهذا بالرغم من أن فوكو قد اهتم أكثر بالأخلاق كسلوك فعلي للأفراد وكان هذا عبر المراحل التاريخية للأخلاق اليونانية والرومانية،لكنه من المفيد أن نذكر هنا رأيه في أخلاق العصر الحديث، وفي إطار مشروع فلسفة موت الإنسان،ومن هنا يمكننا أن نتساءل حول كيفية تكون وتشكل هذه الأخلاق في ظل هذا المشروع،وكذا عصر الحداثة الذي تنهار معه كل القيم والمبادئ والمرجعيات الثابتة.

على الرغم من أن علوم الإنسان قد ارتبطت دائما بالسياسة والأخلاق فإن الفكر الحديث أو المعاصر أصبح عاجز عن اقتراح الأخلاق،بالنسبة لهذا الفكر لم تعد هناك أخلاق ممكنة لأنه أصبح يتقدم بالأساس باتجاه التعرف أكثر ما يمكن على ذلك الآخر الذي

[1] - ميشيل فوكو،**إرادة المعرفة**، مصدر سابق، ص5.

يسكنه ويحركه،إن توضيح وإنارة اللاشعور أو اللامفكر فيه،أي تلك القوى الخفية أو ذلك الحالك من الليل الذي يغمرنا ونتحرك داخله هو الذي يعبر اليوم عن شكل ومضمون الأخلاق في الفكر الحديث.[1]،وفي هذا المعنى يقول فوكو..."أما الأخلاق الحديثة بالمقابل فلا تفرض أية أخلاقيات كونها تقيم كل أمر داخل الفكر،وداخل سعيه لإدراك اللامفكر،التفكير،الوعي جلاء الغموض، إعطاء الكلام لما هو صامت، بروز ذلك الجزء المظلم الذي يعيد جذب الإنسان ذاته إلى ساحة الضوء، هذه الأمور جميعها هي التي تمثل وحدها مضامين شكل الأخلاقيات ولم يستطع الفكر الحديث يوما أن يقترح أخلاقيات : وليس السبب في ذلك أنها بحث نظري بحت، بل العكس هو الصحيح، إذ أنها منذ البداية، وفي قراراتها هي نمط سلوك معين.[2]

وعليه يمكن القول أن فوكو عند دراسته للأخلاق القديمة عموما، انصب جهده على ميدان من الميادين ذات الاهتمام الاتيقي، ويبدوا هذا المجال في الأخلاق الجنسية لكن فوكو قد عدل من مشروعه هذا والمتمثل في الحياة الجنسية، حيث انتقل إلى دراسة تقنيات الذات.

لقد كان السؤال الذي طرحه فوكو في البداية واضحا في هذا النص الذي قال فيه : "وتبينت أنني لا أستطيع تجنب طرح سؤال هو جد بسيط وجد عام في وقت واحد : لماذا السلوك الجنسي، لماذا الفعاليات واللذات الناجمة عنه، تكون موضوع اهتمام أخلاقي ؟ لماذا هذا الانهمام الاتيكي (Souci ethique) الذي في بعض المراحل على الأقل، وفي بعض

[1] - عبد الرزاق الداوي،**فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر**،هيدغر، ليفي ستروس،(ميشيل فوكو، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، لبنان،ط1، 1992)، ص 168.

[2] - ميشال فوكو، **الكلمات والأشياء**، ترجمة، مطاع صفدي وآخرون، (مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د ط، 1998-1990)، ص271.

المجتمعات، أو بعض الجماعات، يبدوا أنه أكثر أهمية من الانتباه الأخلاقي الذي يحمل على مجالات أخرى.[1]

إن مساهمة فوكو الأساسية تكمن في إبراز نظام أخلاقي كان، مثل المعابد الوثنية التي شيد المسيحيون كنائسهم فوقها، مموها جزئيا ومشتتا جزئيا، يخصص الجزء الثاني من تاريخ الجنسانية، أي استعمال اللذات، من أجل عرض منهجي لأخلاق اليونان الجنسية، ويعيد بناء بقية الصرح – تقنيات السيطرة على النفس – في الجزء الثالث الذي هو الاهتمام بالذات،[2] أو بتعبير فوكو : فقد تتبعت توزعا تعاقبيا بسيطا : فالمجلد الأول – استخدام اللذات تكرس للطريقة التي قد تمشكلت من خلالها الفعاليات الجنسانية من قبل الفلاسفة والأطباء، عبر الثقافة الإغريقية الكلاسيكية في القرن الرابع قبل الميلاد، والكتاب الثاني – الانهمام بالذات – قد تكرس لهذه المشكلية في النصوص الإغريقية واللاتينية خلال القرنين الأولين بعد الميلاد.[3]

هذا بصفة عامة ما نجده في الفكر الأخلاقي عند فوكو، حيث سلط الضوء بدراساته ومنهجه على مختلف السلوكات اليومية للأفراد انطلاقا من الذات، حيث تعد تلك الأجزاء من تاريخ الجنسانية هي ما يشكل ويجسد مختلف الآراء حول هذا الفكر الأخلاقي، حيث في كتابه استعمال اللذات يتناول الأخلاق الجنسية اليونانية، وتبدو هذه المعالجة للأخلاق اليونانية الجنسية تطرح أكثر من سؤال، هل انتهت الأخلاق إلا إلى الأخلاق في حالتها الجنسية ؟ وهل لا يلتزم إنسان ما بعد الحداثة بمسألة الأخلاق الجنسية لا غير ؟

---

[1] - ميشيل فوكو، **استعمال اللذات**، ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة مطاع صفدي، (مركز الإنماء القومي، رأس بيروت، لبنان، د ط، 1991)، ص 11.

[2] - أوبيرد رافيوس،بول رابينوف،**ميشال فوكو مسيرة فلسفية**، ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة مطاع صفدي، (مركز الإنماء القومي، رأس بيروت، لبنان، د ط، دت). ص221.

[3] - ميشيل فوكو، **استعمال اللذات** ،مصدر سابق، ص13.

لقد أشرنا فيما سبق أن فوكو قد عدل من مشروعه، بالانتقال من دراسة الحياة الجنسية إلى دراسة تقنيات الذات، فهذا التعديل يتناول البعد الأخلاقي للجنس، حيث يتساءل : كيف ولماذا، وتحت أي شكل قد تم تشكيل الفعالية الجنسانية كحيز أخلاقي، ولماذا هذا الانهمام الاتيكي الملح جدا، مهما كان متنوعا في أشكاله وشدته ؟.

لا يمكن الجواب هنا على هذا السؤال في ظل نظام المنع والتحريم، بل فيما يسميه فوكو بنظام فنون العيش وتقنيات الذات التي تمارس بها اللذات، والتي انتشرت في المرحلة اليونانية وفي القرنين الأولين للميلاد. لهذا فالموضوعات الأساسية المشكلة لهذا الفكر الأخلاقي تنقسم إلى أربع موضوعات، تتعلق بالجسد والزواج والغلمان والحب أو الحكمة، أو حسب قول فوكو : بل يجب أن ندرك بأنه قد تكون باكرا جدا في التفكير الأخلاقي للعصور القديمة مبحث – مبحث رباعي – الأول خاص بالتزهد الجنسي حول الحياة الجسدية وبصددها، والثاني حول مؤسسة الزواج، والثالث حول العلاقة بين الرجال، والرابع حول وجود الحكمة، هذا الأمر الذي يدفع للسؤال عن بنية ومضمون هذه المواضيع الأخلاقية الجديدة عند فوكو.

إن فوكو يشير منذ بداية تحليله إلى صعوبة إيجاد مفهوم مماثل للجنسانية عند اليونانيين واللاتينيين بالرغم من أنهم يملكون كلمات متعددة للتدليل على مختلف التصرفات والأفعال الجنسية، ولعل المفردة التي تندرج ضمنها جميع هذه التصرفات والأفعال هي مفردة الأفروديزيات " Aphrodisia، والتي هي نسبة إلى أفروديت إله الحب والجمال عند اليونانيين، وتعني مختلف الأفعال والحركات والملامسات التي تسبب نوعا معينا من اللذة.[1] ويورد فوكو نصا لديوان اللايرسي حيث يقول : " لا يسعنا أن تفعل شيئا في الحياة بدون التدريب، والتدريب يسمح للناس بالتغلب على كل شيء (...) بإهمالنا الآلام النافية التي نسبها لأنفسنا، وبتدربنا وفقا للطبيعة، يمكننا وينبغي علينا أن نعيش سعداء (...) إن ازدراء

[1] - ميشيل فوكو، **استعمال اللذات**، مصدر سابق، ص32.

اللذة نفسية يكسبون الكثير من الارتياح إذا كنا نتدرب،[1] والحال هكذا فإن ضبط النفس هو الفضيلة والسلطة وهو الذي يوجه النفس ويدير المنزل ويحكم المدينة، وكذا تحقيق الحرية والفضيلة، ومنه فإن : الاعتدال أو الحالة التي نترع إلى بلوغها بضبط النفس والتحفظ في ممارسة اللذات، موصوف كحرية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بان هذه الأخلاق كاهتمام يومي وطريقة للعيش، وكفن للوجود لا يمكن فصلها عن الجمال، حيث هذا الأخير يتجلى في معرفة الشكل الجميل الذي يجب أن تكون عليه الذات، والكيفية التي يمكن للذات أن تصبح بما تحفة فنية، مع العلم أن هذه الأخلاق بإمكانها أن ترسم بعض القواعد التي تحدد طرائق أخرى للعلاقة مع الذات، بمعنى أن هذه الذات هي محور كل الممارسات المختلفة، حيث منها تتشكل الأخلاق كسلوك يومي ،ونمط عيش يخص الأفراد.

[1] - المصدر نفسه، ص ص52-51.

المبحث الثاني: السلطة والأخلاق عند ميشيل فوكو

يرى ميشال فوكو أنه لا يمكن بحال من الأحوال الحديث عن الإنسان بمعزل عن الجماعة، وهذه الجماعة تمثل نسيجًا من مختلف العلاقات الاجتماعية والأخلاقية والدينية...إلخ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الإنسان في حد ذاته هو وليد بيئته، ولا يمكنه أن يعيش بمعزل عن ذلك التفاعل الاجتماعي، ومن هذه النقطة بالذات نجد أن ميشال فوكو، قد قام بإرساء قاعدة عامة تحكم مختلف سلوكيات البشر، وذلك من منطلق إظهار الخلفيات الاجتماعية والمعرفية والأخلاقية التي من خلالها تتحدد العلاقة بين الإنسان والمجتمع.

يقول ميشال فوكو في هذا المقام: "إن السلطة لا تُعطى ولا تتم مبادلتها ولا تؤخذ بل تمارس وإنها لا توجد إلا في فعل أن السلطة ليست نتاج العلاقات الاقتصادية، ولكنها وفي ذاتها علاقة قوة" [1].

يظهر لنا من خلال هذا القول، أن ميشال فوكو حاول أن يجعل من السلطة خاصية اجتماعية بحتة، يهدف فيها المجتمع إلى محاولة ضبط سلوك الأفراد وصنع جسد منضبط، يظهر ذلك من خلال ترويض جسد المجنون داخل المصحات، إلى ترويض المجرم في السجون، ومراقبة الأطفال والمرأة والشواذ، ومن ثمة خلق جسد انضباطي سليم لا يخلو من الشوائب.

كما أن حديث فوكو عن السلطة وعلاقته بالجانب الإتيقي، يرى أن الغاية من السلطة بمفهومها الحيوي، هي محاولة التقليل من قوة القوانين الرادعة، ومحاولة تكييف مختلف التشريعات والقوانين مع ما يتماشى مع المجتمع ومنظومته الأخلاقية والقيمية، إذ يرى أن الدولة في تشريعاتها وتنظيماتها، لابد أن تستند إلى القوة، وهو ما تفرضه الساحة العالمية، وكذا مختلف العلاقات الدولية من جهة، ومن جهة أخرى يجب النظر إلى العلاقات

[1] - ميشال فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، مصدر سابق، ص 42.

الإنسانية بنظرة أقل حدة وقسوة وقوة، فبدلا من استخدام العنف والقوة والسر في تسيير مختلف العلاقات الاجتماعية، لابد من استبدالها بالاحتواء والاحترام لكل أفراد المجتمع.

ولهذا تغير نمط السلطة من مفهومه الكلاسيكي القائم على القوة والقسر والعنف إلى محاولة قراءة الشبكات الاجتماعية من منظور أخلاقي قيمي، "فالسلطة ليست مجرد قوة عنيفة قائمة على المنع والإرغام فقط، ولا يُشكل العنف الجوهر الذي به تكون السلطة، وبدونه لا يتأتى أن تمارس"[1].

حاول ميشال فوكو من خلال مشروعه هذا –السلطة والأخلاق– أن يقوم بتعرية مختلف الأنظمة السياسية الكلاسيكية التي كانت تمجد العقاب والقوة في سبيل تقويم سلوك الأفراد والمجتمعات، ومن ثمة عمل على طرح فكرة جديدة مناهضة للأفكار السابقة، من خلال الانتقال من نشاط الغزو وامتلاك حياة الأفراد إلى تكنولوجيا سياسية تسعى لمحاولة تعزيز تطوير حياة الأفراد والعمل على تنميتها وتحسن مردودها.

ولهذا يمكننا القول في هذا المقام، أن الدولة حسب ميشال فوكو يجب أن تغير من إستراتيجياتها، وتعمل على تحويل القوة والتعذيب والقهر وكل الأفعال التي تنقص من قيمة الإنسان كإنسان، إلى محاولة احتوائه و العمل على إصلاح ما يمكن إصلاحه، وعلاجه، وهذا هو المنعطف الأساسي في الفعل السياسي المعاصر، وهو ما كان يريد أن يحققه ميشال فوكو في مشروعه السياسي، فعوضًا عن استخدام الدولة لوسائل القمع والسجن، كان لابد لها من استخدام استراتيجية العلاج والوقاية والاحتواء، وهي كلها أفعال أخلاقية تمت بصلة بالنوع الإنساني، أو إن صح القول هي بمثابة أنجع الوسائل والاستراتيجيات في سبيل الوصول إلى مجتمع سوي ومتكامل الأطراف.

---

[1] - موسى عبد الله، لوط تالية، **أخلاقيات فعل الرقابة عند ميشال فوكو**، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 11 العدد 1 2023، ص 288

المبحث الثالث: نقد وتقييم

وتعبر السياسة الحيوية بما هي فن من فنون الحكم عن الجانب العملي و هو ما يتفق منهج فوكو في تقديم العملي على النظري و التحليل على التنظير، أو وفقا لتعبيره، وصف ممارسات الخطابية و غير الخطابية [1].

السياسة الحيوية تمتلك القدرة الوصفية و التحليلية فهل تملك القدرة التفسيرية و المعيارية، بمعنى تقديم الأسباب وطرح قيم و بدائل؟ لا تترد الفيلسوفة الأمريكية نانسي فرايزر(N.Fraiser (1947، في وصف المشروع السياسي لميشيل فوكو، و منه مفهوم السياسة الحيوية، بافتقاره إلى المعيار والبديل وهذا موقف تتقاسمه مع عديد الفلاسفة، كما لا يتردد بعض الفلاسفة و الدارسين في وصف المواقف المختلفة لميشيل فوكو بمواقف« اليسار الطفيلي»، أي مواقف ذاتية و جذرية و غير بناءة.[2]

ارتكزت السياسات الحيوية في القرن الثامن عشر على عمليتي تسيير المرض والصحة بناء على نموذج ثنائي قائم على السوي و المرضي وتعزز هذا النموذج بجملة من التدابير السياسية الحيوية في المجتمعات الليبرالية، منها: الرقابة السنوية للسكان الضمان الصحي، الطب الوقائي و أشكال من التدخل العيادي على الجسد المريض باسم الصحة، سواء تعلق الأمر بجسد الفرد أم بجسد السكان الجماعي كما هو الحال عند مواجهة الأوبئة والجوائح ومما لاشك فيه أن المعارف الطبية قد تعزّزت كثيرا بالبيولوجيا الخلوية و علم الوراثة و بجملة من التكنولوجيات الدقيقة، إلا أننا لا نعرف إن كان بإمكان البشرية الحد من الأمراض الوبائية أم لا.[3]

---

[1] - الزواوي بغورة، **قراءة في مفهوم السياسة الحيوية وتحولاته على ضوء الفلسفة الاجتماعية**، (قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت،الرسالة 351، الحولية32، مارس2012، ص84.

[2] - المرجع نفسه، ص85.

[3] الزواوي بغورة،**منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة المعاصرة**، مرجع سابق، ص 115.

ولعل مرض كورنا المستجد دليل على قصورنا المعرفي و السياسي في الوقت نفسه، مما يجعلنا كما قالا عن حق أمام تحديات هائلة سواء على المستوى الطبي أم الأخلاقي أم الاقتصادي [1]و هذا يعني أن الباحثين قد أجريا عملية تاريخية و أخرى نقدية لمفهوم السياسة الحيوية، و بينا من جهة منطلقات المفهوم كما وضعه فوكو، و التطورات التي عرفتها الظواهر و المشكلات التي يعبر عنها، و بخاصة ما تعلق بالتطورات البيولوجيا التي تفرض إجراء تعديلات على المفهوم نفسه حتى يستجيب للوقائع الجديدة.

وإذا كانت السياسية الحيوية تعبير نظري عن ممارسات سياسية، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما علاقة هذا المفهوم بمواقف الفيلسوف السياسية؟ ذلك أن المواقف السياسية لميشيل فوكو، سواء مع الطلبة قبل و أثناء أحداث مايو 1968، أو مع تأسيس مكتب الاستعلام حول السجون أو مشاركته في بعض لجان الدفاع عن المهاجرين العرب في فرنسا، أو انتصاره للمنشقين عن الإتحاد السوفياتي و الثورات التي عرفتها بعض البلدان الاشتراكية سابقا، كالمجر وتشكيسلوفاكيا وبولونيا، أو انتصاره للثورة الإيرانية، كل هذه المواقف السياسية يدور حولها نقاش يتلخص في السؤال الآتي: هل تعد تلك المواقف تطبيقا لمفهومه للسلطة أم أنها تعبير عن مواقف ظرفية ؟[2]

لا شك فيه، أن نقاد السياسية الحيوية من جهة غياب المعايير يشيرون بطريقة مباشرة إلى منهج ميشيل فوكو الذي اصطلح عليه تحليلية السلطة. و من المعروف أن المنهج التحليلي لا يفترض معايير من خارج الموضوع، و إنما يكتفي بوصف و تفكيك الموضوع نفسه.

ولذا فإن من طبيعة الأشياء أن لا يهتم بشيء آخر غير الوظائف التي تقوم بها السلطة. وفيما يتعلق بالسياسة الحيوية فإن وظيفتها السياسية هي الأمن وهو ما قام بتحليله، مهملا

---

[1] - Nikolas Rose, Paul Rabinow**, Le biopouvoir aujourd'hui**, Trad. Frédéric Keck, in Bio-Societies, nol, 2006. p30

[2] - الزواوي بغورة، **منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة المعاصرة**،المرجع السابق، ص85.

لكل ما يتعلق بشرعية هذه السياسة و بعلاقتها بالسيادة أو الحرية أو العدالة أو غيرها من القيم والمعايير وهنا يطرح السؤال: هل السياسة الحيوية تتعارض فعلا مع السيادة بما هي نظام قانوني قائم على الشرعية القانونية؟ إن إحدى المميزات الأساسية لنظام السيادة هو الحفاظ على الأمن القومي و أمن السكان، و عليه، فإن السياسة الحيوية تعتبر بهذا المعنى آلية من بين آليات السيادة القانونية .

وبناء عليه فإن السياسة الحيوية كما درسها ميشيل فوكو، تشكل، في تقديرنا، تجديدا في مجال التحليل السياسي المعاصر، لأنها تكشف عن الآليات التي تقوم عليها السلطة الحديثة التي لم تستطع الفلسفة السياسية الكلاسيكية في صورتها الليبرالية و الماركسية وأن تبنيها ويكفي في هذا السياق الإشارة إلى دور و وظيفة التكنولوجيات الحيوية في مجال الطب، فلو اكتفينا بالنظرة السياسية الكلاسيكية فإن هذا الموضوع لا يعدو أن يكون أداة جديدة قد تطرح مشكلات في مجالي العلم أو الأخلاق، و لكن من منظور السياسة الحيوية فإن وظيفتها تصبح أكثر وضوحا لأنها تظهر نمطا من المراقبة السياسية على الحياة بقصد تنمية إنتاجيتها وعليه فإن التكنولوجيات الحيوية هي جزء من سياسة حيوية تهدف إلى تطوير قدرات الأفراد والجماعات كميا و نوعيا، وبالتالي فإنها آلية في خدمة الاقتصاد الذي يشكل أساس الدولة الليبرالية.

و لكن ما يدعو حقا للتساؤل، بل و يثير الحيرة و الدهشة معا هو عدم اهتمام ميشيل فوكو بالمسائل الأخلاقية التي تطرحها البيولوجيا، و ذلك رغم وقوفه عند نتائجها السياسية وآثارها.

ولقد درس ليبوفتسكي المسألة الأخلاقية في كتابه أفول الواجب، أخلاق غير ملائمة للأزمنة الديمقراطية الجديدة (1992)، حيث أكد على واقعة عودة الأخلاق في نهاية القرن العشرين وما يؤكد هذا العودة في نظره الحضور القوي للمسائل الأخلاقية في الإعلام والتفكير

الفلسفي وفي مختلف العلوم وبخاصة في علوم الحياة والطب. يقول: «لقد أصبح فضاء الأخلاق هو المرآة المفضلة التي تعكس روح العصر ».[1]

لقد بين فوكو علاقة هذه الانطولوجيا التاريخية بكانط والكانطية بشكلين : شكل ضمني سواء في حضور مفاهيم كانط في متنه الفلسفي، أو في تعيينه لوضعية كانط في تاريخ الفلسفة، أو في علاقته بالكانطية الجديدة ممثلة بالفيلسوف إرنست كاسيرر الذي نعتقد أن علاقته ما تزال في حاجة إلى تحليل؛ وشكل صريح بيَّنه في تعليقه على نص كانط ما التنوير؟ ؟.[2]

كما تقوم أخلاقيات ما بعد الحداثة على مفهوم الاختلاف القائم على السجال والمواجهة والتنازع الذي لا يؤدي إلى حسم عادل، وذلك بحكم غياب قواعد للحكم. وهنا تكمن المفارقة الكبرى، ليس فقط في مفهوم الاختلاف، وإنما في نظرية ما بعد الحداثة عموما الأخلاقي على وجه التحديد والسبب الذي يمنع وجود هذه القاعدة في نظر ليوتار، هو أن الأطراف تتمتع بالمشروعية نفسها.[3]

استقى فوكو فكرة الأخلاق بما هي أسلوب في الحياة من المؤرخ الأمريكي بيتر براون Peter Brown وتتميز هذه الأخلاق بوصفها أسلوباً في العيش وتتوجه إلى عدد محدود من الأفراد ولا تطلب من الجميع أن يمتثل إلى مخطط واحد من التصرف، أي أنها حكرٌ على نخبة من الأفراد الأحرار. ولكن مع ذلك، فإن هذه الأخلاق قد تمددت وتوسعت في المرحلة الرومانية، رغم أن الجميع لم يكن مجبراً على إتباعها. لقد كانت أخلاقاً اختيارية.[4]

وبالنظر إلى التحليلات التي أجراها على تلك الفترة لا يتردد فوكو في تعريف الأخلاق بالحرية أو كما قال في واحد من حواراته الأخيرة الاهتمام بالنفس بوصفه ممارسة للحرية :

---

[1] - الزواوي بغورة، **مدخل الى فلسفة ميشيل فوكو**، مرجع سابق، ص 229.

[2] - الزواوي بغورة، **ما بعد الحداثة والتنوير**، موقف الانطولوجيا التاريخية، (دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2009)، ص ص153-152.

[3] - الزواوي بغورة، **مدخل الى فلسفة ميشيل فوكو**، مرجع سابق، ص224.

[4] - المرجع نفسه، ص247.

ليست الأخلاق إلا ممارسة واعية للحرية. كما قال أيضاً: تُعتبر الحرية بمثابة الشرط الوجودي للأخلاق، ولكن الأخلاق هي الشكل الواعي الذي تتخذه الحرية. وإذا كان هذا القول يفيد تلازم الأخلاق والحرية، لا نعتقد أننا نجانب الصواب إذا ما قلنا إن أهم قيمة خلاقية وسياسية دافع عنها فوكو هي قيمة الحرية من حيث هي ممارسة وبما أن الجنس يُعد جزءاً من حياتنا ومن سلوكنا، فإنه بالتالي يُشكل جزءاً من حريتنا التي يجب أن نستمتع بها مثلما نستمتع بحريتنا في الإبداع. يقول فوكو في ذلك : إن الجنسانية شيء نبدعه بأنفسنا؛ إنه إبداعنا وعلينا أن أنه نفهم مع رغباتنا ومن خلالها تتأسس أشكال جديدة من العلاقات.[1] يحدد أندريه لالاند العدمية في قاموسه الفلسفي بأنها (أ) مذهب يقول بعدم وجود أي شيء مطلق ؛ (ب) مذهب ينفي وجود أي حقيقة أخلاقية». ومن البيّن أن هذا المعنى الاصطلاحي ينطبق إلى حد كبير على ما ذهب إليه فلاسفة ما بعد الحداثة، وبخاصة ليوتار وبودريار، وذلك لقول الأول بالاختلاف والتعدد والتفرد وغياب القواعد، مما دفع بأحد النقاد إلى القول: «إن ليوتار يستطيع أن يُقدم لضحايا الخلاف التزاماً أخلاقياً، وعلى وجه الخصوص لضحايا غرف الغاز النازية، [وأن] نقد ليوتار للذات يجعل أي شهادة عن الخلاف شيئاً ،أحمق ما دام لن يكون هناك أي شخص تقدم له الشهادة». ولقد قال بودريار بالعدمية بشكل صريح.[2]

يرى فوكو أن هناك تمحورا للسلطة حول المعرفة وتمفصلا للمعرفة حول السلطة فالمعرفة تفصح عن أكثر من آثار السلطة وشكل من أشكالها فلا يمكن اعتبار السلطة والمعرفة متنافران أو لا ربط بينهما. إذ نجد أن فلسفة فوكو من بين المراجع التي جسدت نظرة جديدة للمعرفة وعلاقتها بالسلطة وعليه في هذا البحث نتعمد إلى دراسة الفكر الفلسفي لفوكو، بخصوص الموضوع الذي يتمثل في السلطة والمعرفة، فقد اعتمدنا في ذلك على ما جسده محمد الجابري و محمد أركون والصفدي حول هذا الموضوع، فقد أكد هذا الأخير أن فوكو عمل على الإجابة على سؤال يتعلق بكيفية تمكننا من تحقيق سلطة معينة، فهي في نظره مجموعة من الشبكات

---

[1] - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] - الزواوي بغورة، **مدخل الى فلسفة ميشيل فوكو**، مرجع سابق، ص255.

التي تربط المؤسسة والبيت والأسرة وعلاقات إدارية، فمن خلال هذه الروابط تظهر القوة التي تجسد السلطة الحقيقية ولهذا ما جسده نيتشيه وتحديدا أن القوة عندما تتصادف بقوة أخرى فإنها تتحول بالضرورة إلى سلطة حقيقية، وعلى هذا الأساس أكد مطاع الصفدي أن مجمل الفضاءات المعرفية والاجتماعية يخلق نوع من التنوع في العلاقات
المعرفية والسلطوية"[1]، أي أصبحت السلطة في خدمة المعرفة، فالمعرفة تمهد الطريق للسلطة والسلطة تفرض علاقة القوة وبواسطة المعرفة تعزز السلطة الوقائع وتسخر الطبيعة لصالحها.

إن القوة ليست قامعة أو مقموعة فكما يحددها فوكو فإنها تنتج وتحرض عليه، فإن توسيع العقل السلطوي يقوم على إرادة القوة عند نتشيه تصبح إرادة معرفة عند فوكو" [2]، فالمعرفة عند فوكو موضوع الكثرة الدقيقة التي تصفها المعرفة ذاتها كما تصف معها الفردية ومواضعها ووظائفها.

إن اهتمام فوكو بالسلطة كان مع ثمرة ثورة 1968 التي أحدثت في نظره تغيرا كبيرا في الفكر الفرنسي المعاصر، فإن آليات السلطة الحقيقية تظهر على أنها وليدة المعرفة من خلال ما جسدته إيديولوجيات، وعليه فإن ميشال فوكو يتأكد من مفهومه الأركيولوجي الذي يفهم على أنها دراسة للبنية الضمنية للمعرفة[3]، فالمعرفة تقوم على أساس التعرية الأركيولوجية لكل الظواهر والمفاهيم والأشكال الاجتماعية.

وعليه "ففوكو تطرق كثيرا إلى التأكيد على أن ذاتية الأفراد هي التي تساهم في عزل الأفراد وبذلك فإنه يقع في أسر قمع السلطة، وعليه فقد اهتم فوكو كثيرا بالذات على أساس العلاقة التي تجمعها بالآخرين ولذلك فمن واجب كل فرد أن يعود إلى ذاته، على أساس أنه

---

[1] - الزواوي بغورة، **ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر**، محمد عابد الجابري، أركون، مطاع صفدي، (ط1، بيروت: دار الطباعة للنشر، 2001)، ص 122.

[2] - المرجع نفسه، ص123.

[3] - إسماعيل نقاز، **جدلية المعرفي والسياسي عند فوكو**، دار النشر والطباعة 2002، ص13.

يقدم نقد عام لوهم الأنا الواعية لذاتها، فهي بمثابة مخرج الأفراد من المعارف المزيفة التي كان يمتلكها مسبقا " [1]، فالذات عند فوكو مهمة بل مركزية، فالاهتمام بالحياة والتعلق بها يقيم الذات وتحس بالوعي وهذا ما أشار إليه سقراط في مقولته الشهيرة (اعرف نفسك بنفسك)، فالفرد لا يجب أن يكون جاهلا لذاته فعليه ان يكون عارفا منفتحا على الآخر لا مختزلا له، لذلك نجد العديد من التيارات الفلسفية التي عالجت موضوع الذات .

إن هذه السلطة عند فوكو تحاول دائما الهيمنة على الأفراد وذلك من خلال ترويض عقولهم وصقلها رغما عنهم، وعلى هذا الأساس فإن الذات هي المدخل الأساسي الذي يمكن الأفراد من إدراك حرياتهم ورفض مطلق لممارسات السلطة القمعية، وعلى هذا الأساس إن فوكو خلق نوع جديد من الدراسة سواء على المستوى الابستمولوجي والسياسي وبذلك فقد اكتشف حقلا معرفيا جديدا ،تجاوزها جسدته الحضارة اليونانية والحديثة .[2]

ولقد درس ليبوفتسكي المسألة الأخلاقية في كتابه أفول الواجب، أخلاق غير ملائمة للأزمنة الديمقراطية الجديدة (1992)، حيث أكد على واقعة عودة الأخلاق في نهاية القرن العشرين وما يؤكد هذا العودة في نظره الحضور القوي للمسائل الأخلاقية في الإعلام والتفكير الفلسفي وفي مختلف العلوم وبخاصة في علوم الحياة والطب. يقول: «لقد أصبح فضاء الأخلاق هو المرآة المفضلة التي تعكس روح العصر ».[3]

ولقد بين فوكو علاقة هذه الانطولوجيا التاريخية بكانط والكانطية بشكلين : شكل ضمني سواء في حضور مفاهيم كانط في متنه الفلسفي، أو في تعيينه لوضعية كانط في تاريخ الفلسفة، أو في علاقته بالكانطية الجديدة ممثلة بالفيلسوف إرنست كاسيرر الذي نعتقد أن علاقته ما تزال في حاجة إلى تحليل؛ وشكل صريح بيَّنه في تعليقه على نص كانط ما التنوير؟[4]

---

[1] - ميشيل فوكو، **نظام الخطاب**، المصدر السابق، ص74.

[2] - حسين مصدق، **تقنيات السيطرة على الجسد في أعمال فوكو**،جريدة العرب الثقافي، الخميس، 9/8/2007.

[3] - الزواوي بغورة، **مدخل الى فلسفة ميشيل فوكو**، المرجع السابق، ص 229.

[4] - الزواوي بغورة، **ما بعد الحداثة والتنوير**، موقف الانطولوجيا التاريخية، (دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2009)، ص ص153-152.

كما تقوم أخلاقيات ما بعد الحداثة على مفهوم الاختلاف القائم على السجال والمواجهة والتنازع الذي لا يؤدي إلى حسم عادل، وذلك بحكم غياب قواعد للحكم. وهنا تكمن المفارقة الكبرى، ليس فقط في مفهوم الاختلاف، وإنما في نظرية ما بعد الحداثة عموماً وموقفها الأخلاقي على وجه التحديد والسبب الذي يمنع وجود هذه القاعدة في نظر ليوتار، هو أن الأطراف تتمتع بالمشروعية نفسها.[1]

استقى فوكو فكرة الأخلاق بما هي أسلوب في الحياة من المؤرخ الأمريكي بيتر براون Peter Brown وتتميز هذه الأخلاق بوصفها أسلوباً في العيش وتتوجه إلى عدد محدود من الأفراد ولا تطلب من الجميع أن يمتثل إلى مخطط واحد من التصرف، أي أنها حكرٌ على نخبة من الأفراد الأحرار. ولكن مع ذلك، فإن هذه الأخلاق قد تمددت وتوسعت في المرحلة الرومانية، رغم أن الجميع لم يكن مجبراً على إتباعها. لقد كانت أخلاقاً اختيارية.[2]

وبالنظر إلى التحليلات التي أجراها على تلك الفترة لا يتردد فوكو في تعريف الأخلاق بالحرية أو كما قال في واحد من حواراته الأخيرة الاهتمام بالنفس بوصفه ممارسة للحرية : ليست الأخلاق إلا ممارسة واعية للحرية. كما قال أيضاً: تُعتبر الحرية بمثابة الشرط الوجودي للأخلاق، ولكن الأخلاق هي الشكل الواعي الذي تتخذه الحرية. وإذا كان هذا القول يفيد تلازم الأخلاق والحرية، لا نعتقد أننا نجانب الصواب إذا ما قلنا إن أهم قيمة أخلاقية وسياسية دافع عنها فوكو هي قيمة الحرية من حيث هي ممارسة وبما أن الجنس يُعد جزءاً من حياتنا ومن سلوكنا، فإنه بالتالي يُشكل جزءاً من حريتنا التي يجب أن نستمتع بها مثلما نستمتع بحريتنا في الإبداع. يقول فوكو في ذلك : إن الجنسانية شيء نبدعه بأنفسنا؛ إنه إبداعنا وعلينا أن أنه نفهم مع رغباتنا ومن خلالها تتأسس أشكال جديدة من العلاقات.[3]

---

[1] - الزواوي بغورة، **مدخل الى فلسفة ميشال فوكو**، المرجع السابق، ص224.

[2] - المرجع نفسه، ص247.

[3] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الخاتمة

من خلال دراسة موضوع "مفهوم الفلسفة الحيوية عند ميشال فوكو" الذي تعرّفنا فيه على أبرز الإشكاليات الفلسفية التي طرحها فوكو بخصوص علاقة الحياة بالمعرفة والسلطة والأخلاق، توصلنا إلى النتائج التالية:

- كان الحضور الفلسفي للفكر الفوكوي يتميّز بعمق نقدي وتحليل دقيق للأنساق المعرفية والمؤسسات السلطوية، حيث قدم تصورًا جديدًا للفلسفة الحيوية لا باعتبارها تأملا نظريًا في الحياة، بل مشروعًا عمليا لفهم آليات تنظيمها وضبطها داخل المجتمعات الحديثة.
- لم يكن مفهوم الفلسفة الحيوية عند ميشال فوكو واضح المعالم أو تقليدي التحديد، بل جاء على نحو متحرّك ومفتوح يتقاطع مع الطب، والسياسة، والمعرفة والأخلاق، وهو ما منحه طابعًا تحليليًا معاصرًا لواقع الإنسان ضمن شبكة من القوى الخطابية والمؤسساتية.

اهتم فوكو بتحليل أشكال السلطة الحيوية، وتتبع آليات اشتغالها داخل الحقل الطبي والسياسي، مبرزا كيف تحوّلت الحياة إلى موضوع للمراقبة والتقنين، وهو ما تجلّى في مفاهيم مثل السلطة الحيوية والمجتمع الانضباطي، وقد استند في تحليله إلى أرشيف غني، سمح له بتفكيك خطاب السلطة من الداخل.

أما على المستوى المعرفي، فقد ربط فوكو بين إنتاج الحقيقة وآليات السلطة، مشيرًا إلى أن المعرفة لا تنفصل عن شروطها التاريخية والسياسية، وهو ما جعله يُعيد التفكير في علاقة الإنسان بالعلم، بعيدا عن الحياد الموضوعي أو النزعة الإنسانية الكلاسيكية.

وفي جانب الأخلاق، بين فوكو أن الأخلاق ليست منظومة قيمية مفروضة، بل هي ممارسة فردية تنبع من العلاقة التي يقيمها الفرد مع نفسه، من خلال ما سمّاه تقنيات الذات، وهذا ما جعله يتجاوز الفهم التقليدي للأخلاق نحو تصور أكثر ديناميكية وشخصية.

يدعو فوكو من خلال مشروعه الحيوي إلى مساءلة التراث الأخلاقي والسياسي والمعرفي، ويقترح بديلاً فلسفيًا يقوم على الحرية والمقاومة والنقد الدائم، مما يجعل من الفلسفة الحيوية عنده أداة فعالة لفهم الحاضر وتفكيك أنظمته، انطلاقًا من الذات في علاقتها بالحياة والسلطة والمعرفة.

وفي النهاية، يمكن القول إن فكر فوكو يقدم لنا أدوات نقدية مهمة لفهم الواقع الذي نعيشه، ويشجعنا على ألا نقبل الأمور كما تُقدّم لنا، بل أن نسائلها ونفككها، وأن نعيد التفكير في ذواتنا وفي علاقتنا بالسلطة والمعرفة. وهذا بالضبط هو الدور الذي يمكن أن تلعبه الفلسفة اليوم: أن تُنير لنا الطريق نحو فهم أعمق للحياة، لا من خلال إجابات جاهزة، بل من خلال طرح الأسئلة الصحيحة.

بعد تحليل مفهوم الفلسفة الحيوية، اتضح أن هذا المفهوم لم يكن يتعلق فقط بفهم جديد للسلطة، بل اتضح في نهاية المطاف أنه قد أصبح رمزًا لفهم السلطة وموضوعًا سياسيا محضا، فكان بدوره يعمل على تنظيم الصحة والسلوكيات اليومية وغيرها. فسبب ظهور السياسة الحيوية يعود إلى تحولات وتغيرات تاريخية، ومع ظهور تجلياتها أصبحت تصب في حياة السكان، في حين أصبح الجسد في الفلسفة الحيوية تحت رقابة الدولة والمجتمع. وقد بينت دراسة وصياغة فوكو لمفهوم الفلسفة الحيوية أنه لم يقتصر على فهم وتشخيص آليات السلطة الحيوية، بل أحاط بكل جوانب السلطة.

إن الفلسفة الحيوية في نظر فوكو تقودنا إلى جانب فكري عميق، وهذا ما سيتم دراسته في فهم التحولات المعاصرة في السلطة من خلال مجالاتها وتجلياتها في معنى الحياة والسلطة داخل المجتمعات الحديثة حيث وضع فوكو الأساس لفهم كيفية تغير السلطة، وكيف أصبحت تُمارس في حياتنا اليومية، التي من خلالها، كما ذكرنا، يُفتح المجال للأبعاد الأخلاقية والسياسية والمعرفية.

في المجال الصحي: يبين فوكو أن المعرفة الطبية الحديثة هي ضمن السلطة أساسًا، بما يخدم الدولة والسياسة، وذلك من خلال تحليله لأهم أشكال الطب الثلاث، وهي على النحو التالي: طب الدولة، الذي برز في ألمانيا، والطب الاجتماعي، نشأ في الذي فرنسا، وطب قوة العمل، الذي تطوّر في إنجلترا. فالطب والسلطة لهما جانب مطابق من خلال عملهما الترابطي في مراقبة السكان والصحة العمومية للمدن، في حين عمل طب قوة العمل على ضبط ممارسة السلطة عن طريق مراقبة صحة الفقراء والعمال.

أما في المجال السياسي، فقد ذكر فوكو أن التحولات السياسية الحديثة تعني أساسا الحياة، مع مولد السياسة الحيوية وظهور أشكال مختلفة للسلطة، ومنها السلطة الانضباطية، التي يتمثل دورها في الرقابة، والسلطة الحيوية، التي يتمثل دورها في التنظيم.

وفي المجال المعرفي: فإن العلاقة بين المعرفة والسلطة في نظر فوكو علاقة تكاملية ضرورية لفهم الحياة، وأداة لفهم الحقيقة، وأن كل معرفة تُنتج وفق سلطة ما.

ومن خلال دراسة البعد الأخلاقي في فكر فوكو، انطلاقًا من مفهوم الأخلاق الذي صاغه بمنهج التفكيك، معيدًا بناء هذا المفهوم من آفاق وفكر جديد محوره الذات وممارسة الحرية، فإن الأخلاق في نظر فوكو تُعد بمثابة أداة لفهم السلطة، وهذا ما دفعنا إلى إعادة التفكير في الوجود والمعنى. فالأخلاق في نظر فوكو مجال متجدد.

إن العلاقة بين الأخلاق والسلطة شكلت محورًا أساسيا في فكر فوكو، في حين أن السلطة لا تُمارس بالعنف والامتناع فقط، بل من خلال الرجوع إلى تشكيل الأخلاق في الحياة اليومية وجاء مفهوم الفلسفة الحيوية كأداة تحليلية لفهم هذا التداخل بين الأخلاق والسلطة.

المصادر والمراجع

1- المصادر

- باللغة العربية

- رائق علي النقري ،**فقه المصالح**، مصر: دار الأمين ، ط1، 1991.
- رائق علي النقري،**القانون الحيوي للكون** ، سوريا: مطبعة العلم، ط1، 1975.
- **ميشيل** فوكو، **دروس ميشيل فوكو**، تر: محمد ميلاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.
- ميشيل فوكو، **الكلمات والأشياء**، ترجمة، مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د ط، 1998-1990.
- ميشيل فوكو، **مولد السياسة الحيوية**، تر: الزواوي بغورة ،(منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، قطر)،2018.
- ميشيل فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
- ميشيل فوكو،**إرادة المعرفة**، تر: جورج أبي صالح؛ومراجعة وتقديم مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي،رأس بيروت، لبنان، دط،1990.
- ميشيل فوكو،**الحقيقة والسلطة**، تر: فريق المجلة، في الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت- لبنان، العدد1،1980.
- ميشيل فوكو، **استعمال اللذات**، ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، رأس بيروت، لبنان، د ط، 1991.

2- المراجع

- باللغة الأجنبية

- Fraser,Nancy, **Qu'est-ce que la justice sociale**? reconnaissance et redistributiontra. Est elle Ferrarese, Paris, La decouverte, 2005.
- Freitag, Michel, **Totalitarismes: de la terreur au meilleur des mondes**, in, Revue MAUSS, N25, 2001.

- Fukyama, Francis, **La fin de l'homme. Les conséquences de la révolution biotechnique**, Paris, La table ronde, 2001.
- Gaillon, Jean, **La philosophie et la biologie**, in Encyclopédie philosophique universelle, tome, 4, Paris, PUF.
- Gernet, Katia, **La question du biopouvoir chez Foucault et Agamben**, In, Methods savoirs et textes, N4, 2004.
- Michel Foucault, Naissance de la Clinique, editions, Paris, PUF,2015

–باللغة العربية

- إسماعيل نقاز، **جدلية المعرفي والسياسي عند فوكو**، دار النشر والطباعة، 2002.
- أوبيرد رافيوس،بول رابينوف،**ميشال فوكو مسيرة فلسفية**، ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، رأس بيروت، لبنان، د ط، دت.
- الزواوي بغورة، **قراءة في مفهوم السياسة الحيوية وتحولاته على ضوء الفلسفة الاجتماعية**، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت،الرسالة 351، الحولية32، مارس2012.
- الزواوي بغورة، **ما بعد الحداثة والتنوير**، موقف الانطولوجيا التاريخية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2009.
- الزواوي بغورة، **ما بعد الحداثة والتنوير**، موقف الانطولوجيا التاريخية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2009.
- الزواوي بغورة، **مدخل إلى فلسفة ميشال فوكو**،بيروت: دار الطليعة، 2013
- الزواوي بغورة، **منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة المعاصرة**، دراسة نقدية تحليلية، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت،الرسالة 351، الحولية32، مارس2012.
- الزواوي بغورة، **ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر**، محمد عابد الجابري، أركون، مطاع صفدي،ط1، بيروت: دار الطباعة للنشر، 2001.
- عبد الرزاق الداوي،**فلسفة موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر**،هيدغر، ليفي ستروس،ميشيل فوكو، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، لبنان،ط1، 1992

- عبد العزيز العيادي، **ميشيل فوكو، المعرفة والسلطة**، ط1؛ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1994.
- هنري برغسون، **الطاقة الروحية**،تر، علي مقلد، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 1991.

3- المعاجم والموسوعات

- جورديت ريفال، **معجم ميشيل فوكو**، تر: الزواوي بغورة، مكتبة صوفيا، 2018.

4- قامة المجلات والدوريان.

- إيمان خلاف، كمال حاج علي، **البيوسياسة والنزعة الإنسانية المتجاوزة، المتحولة**، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، المجلد: 14، العدد 01.
- بن سعيد مراد دنيا، **البيولوجيا السياسية وفهم الشمولية، العنف والسلطة في فكر ميشال فوكو وحنة أرندت**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01 أكتوبر 2017.
- حسين مصدق، **تقنيات السيطرة على الجسد في أعمال فوكو**،جريدة العرب الثقافي، الخميس، 2007/8/9.

موسى عبد الله، لوط تالية، **أخلاقيات فعل الرقابة عند ميشال فوكو**، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 11 ،

العدد 1، 2023.

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
الإهداء	I
الشكر	II
المقدمة	أ
الفصل الأول: في ماهية الفلسفة الحيوية	
المبحث الأول: مفهوم الفلسفة الحيوية	
المبحث الثاني:الفلسفة الحيوية في نظر ميشيل فوكو	13
الفصل الثاني:مجالات الفلسفة الحيوية عند ميشيل فوكو	22
المبحث الأول: المجال الصحي(فلسفة الطب)	31
المبحث الثاني: المجال السياسي(السياسة الحيوية في مقابل السياسة التقليدية)	39
المبحث الثالث:المجال المعرفي(علاقة فلسفة الحياة بالمعرفة)	44
الفصل الثالث: السلطة ،الأخلاق في نظر ميشيل فوكو	
المبحث الأول: الأخلاق عند ميشيل فوكو	46
المبحث الثاني: السلطة والأخلاق عند ميشيل فوكو	51
المبحث الثالث:نقد وتقييم	53
الخاتمة	62
المراجع	72
فهرس المحتويات	
الملخص	

الملخص

ظهر مصطلح السياسة الحيوية في مؤلفات فوكو، والذي يعني به أن كل ما يخص الإنسان خاضع للسلطة التي يقصد بها الطريقة المستعملة لعقلنة المسائل المطروحة على الممارسة الحكومية والمتعلقة بالظواهر الخاصة بالأحياء وما يتعلق بهم فالسياسة تهتم بالسكان وما يرافقهم من الصحة، ونسبة المواليد وطول العمر، وهذه المسائل عُدت مواضيع رهان سياسي واقتصادي إلى اليوم.

فاهتمت السياسة الحيوية بالإنسان ككل لا كفرد آو كشخص معين، لتوجه الإنسان نحو الحياة واستثمارها لا إلى الموت، على العكس من الماضي القديم فقد كانت السياسة باسم الحاكم تمارس للإماتة وقتل الناس باسم القانون فحلت السياسة الحيوية محل السياسة القديمة لمراقبة الفرد وإدارة حياته.

كما اهتم ميشال فوكو بعلاقة السلطة بالمعرفة والأخلاق،حيث يعتبر أن المعرفة والسلطة مرتبطتان حيث يمكن استخدام المعرفة كوسيلة للسلطة ،وشدد على أهمية الحرية الفردية والمسؤولية الشخصية.

Summary:

The term "biopolitics" appeared in the thought of Foucault, which means that everything related to the human being is subject to governance. This refers to the rational methods applied to governmental practices concerning individual phenomena such as birth rates, what is published in the press, hygiene, longevity, and age. These issues are no longer just political or economic topics today.

They are considered vital political .matters In the past, the individual had no political value, whereas today, biopolitics aims to direct the individual toward life and invest in it -not toward death. Biopolitical policies have replaced ancient sovereign power, which ruled by execution and killed people in the name of .the law.

Michel Foucault was also interested in the relationship of power with knowledge and morality, as he considered that knowledge and power are linked, as knowledge can be used as a means of power, and he stressed the importance of individual freedom and personal responsibility.